موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

بلدة اكسال

الباحث:

الأستاذ مروان الماضي

2025م

بلدة إكسال

قضاء الناصرة

تأليف

الباحث والمؤرخ والتربوي مروان الماضي

تدقيـــــــق لغوي: علاء الدين نمر

تنسيق وتنضيد: عبد القادر الحمرة

تصميـــــــــم الغلاف: محمد الدلو

إصدار

موسوعة القرى الفلسطينية– قسم دراسات القرى

2025

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين نذكرهم بأهمية فلسطين

فلسطين هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعينان، تهفوا له القلوب وتترنم بهوائه المشاعر والقلوب تبكي لفراقه وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله الباقين والمبعدين من أصحابه عرب فلسطين.

لم تمضِ ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه أجواء الكون تحمله موجات الأثير المسموع منها والمرئي والمقروء حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا مع أفريقية).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع كروم وزيتون وتين ولوزيات وحمضيات وهي أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج بالجرمق وكنعان بصفد وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت –435 م تحت سطح البحر.
- هي مهبط الأديان السماوية (يهودية– مسيحية– مسلمون).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة مصرية كنعانية بابلية آشورية كلدانية وآموريه ويونان ورومان وفرس وغيرهم.
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع من الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية والبن والصمغ اليمني والتمور العراقية والبروكار الحريري الدمشقي والسجاد الفارسي والزجاج الخليلي والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات وامتلاك ادوات البحث والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة ز ولهذا كله أو بسبب هذا كله عددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم المعلم، والتربوي الكبير...إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه تستحوذ غلى فكره وعقله وإحساسيه. ويدرك الأستاذ مروان "أن الوطن" فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني له أيديولوجية خاصة وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود ومحو الأسماء وطمس المعالم وسرقة الآثار وتشويه التراث وتزييف الوثائق ونفي الهوية الوطنية وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين وأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض على اعتبار فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية ماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها، ولهذا اختار نسقا خاصا في الكتابة يتمثل في:

كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق يهدف الى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام،ولهذا فإن كتاباته تندرج في إطار واجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية أي تتدرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة أدب بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة وهي مهمة وطنية وملحة في محاولات التذويب والطمس والنفي كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية، وعندما يكتب عن مدينة الطيبة مثلا نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وادواتها وعلى الحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم والمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث وحماية الهوية الوطنية من الذوبان إلى الفولكلور و غناء ودبكات إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ

- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية
- الحفاظ على كل شئ (إحياء اللهجة والعادات وكل شئ يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن الخص للقارئ ما كتبه المؤلف لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر حرارة للإخلاص بالحس الوطني الصادق بالتماهي مع المكان وناسه وتاريخه ويمنح العلم والمعرفة أهمية بارزة وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د.شكري عزيز الماضي

المقدمة

جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني من دخولهم أرض فلسطين، واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص فأقاموا المستعمرات المغلقة وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموساف) واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935 واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور، وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية.

وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية وزيادة العداء بين بين سلطة الاحتلال والعرب وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي يجعلوه نسراً في بلادنا وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حما الوطن وليس على عدو افتراضي هل حماس الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمة كانت او مظلومة رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل ها هذا الحماس هو حباً، حباً باليهود أم كرهاً بالعرب؟

والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب فإن الميزان ليس مستقراً في العالم وسيكون دمارهم على يد من صنعهم وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب والخاتمة للمتقين.

المؤلف

الفهرس

إهداء **5**

تقديم **6**

المقدمة..... **8**

الفصل الأول لمحة جغرافية **11**

الموقع وأهميته 11

النباتات الطبية الطبيعية 12

الفصل الثاني لمحة تاريخية..... **18**

العهد الروماني 22

التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي 23

الفترة العثمانية 23

الفصل الثالث الحياة الاقتصادية..... **27**

أراضي مناطق الحدود 28

الزراعة 29

الصناعة 31

التجارة 32

الفصل الرابع التعليم وأعلام إكسال وثقافة المقاومة **34**

الفصل الخامس ثقافة المقاومة في بلدة إكسال **36**

مراحل فئات الفنانين العرب الفلسطينيين 41

الفصل السادس الحياة الاجتماعية (السكن ووظيفته– العادات والتقاليد) **43**

المأكولات والمشروبات 44

الفصل السابع الأفراح والأتراح..... **50**

الأفراح 50
الأتراح 57
الفصل الثامن المجازر الصهيونية في شعب فلسطين 58
الفصل التاسع سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل" 64
في الزراعة 64
الفصل العاشر أدب المقاومة السلمية 71
التمثيل والمسرح 71
الفصل الحادي عشر انتفاضات شعب فلسطين 81
الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)..... 83
الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) 85
الانتفاضة الثالثة انتفاضة القدس لنصرة الأقصى 87
المصادر والمراجع..... 89

الفصل الأول

لمحة جغرافية

الموقع وأهميته

بلدة إكسال بلدة عربية تقع جنوب الناصرة ودبوري الى الشرق منها على بعد 5كم منها تجاورها من الشمال الشرقي عين ماهل والمشهد شمال غرب وبلدة دبورية من الشرق، تبلغ مساحة أراضيها 9000 دونماً وعدد سكانها 13000 نسمة أغلبهم من المسلمين.

ويرجع أهمية موقع البلدة لوجودها في تجمعات بشرية وعمرانية، وأن قربها من مدينة نابلس يلبي حاجاتها من مؤن وغيرها من الخدمات ولا ننسى جوها المتوسطي الممطر وينابيعها العديدة وزراعتها المتنوعة، لقد جاء اسمها المشتق من كسلون تابور وهي بلدة قديمة ذكرت في الكتاب المقدس وورد ذكرها في سفر يوشع تتمتع البلدة بأراضي زراعية خصبة وأيدي عاملة خبيرة ومراعي في براريها الخضراء.

ويبدو أن الناصرة انتزع اسمها من صفورية وضمت اليها وسجلت باسم (نايس ناين) الحالية منطقة مستقلة كنسياً وأصبحت إكسالوت (إكسال الحالية).[1]

تتوسط البلدة منطقة مفتوحة نحو الغرب ويحميها من الشرق جبل طابور ترتفع عن سطح البحر 150م، فيها المراعي والأحراج من أشجار الماكي المتوسطية.

ومن الرحالة الذين وصفوها في زياراتهم للمنطقة الرحالة النابلسي عام 1693م وهو في طريقه من عكا الى شفا عمرو حيث بات في شفا عمرو ليلته وفي 23/تشرين أول ووصل الى قرية صفورية ومن بعدها الى قرية مشهد وبعدها الى الناصرة ويصفها ويقول أنها قرية تحيط بها الجبال ثم غادرها الى قرية إكسال وقد ألم به وبخيوله في الطريق تعبر والسير في الجبال وبين الصخور وبات فيها ليلته بأحد جوامعها وهذا ما يدل على الطريق بين عكا وإكسال وما بعدها ليست بالطريق الرئيسية آمنة لعدم توفر الحانات لنزول المسافرين.[2]

كما زار الرحالة بوكوك المنطقة بقوله "غادر الناصرة في 22/أيار شمالاً نحو قرية المشهد ومنها إلى جبل طابور فقال بوصف الجبل أنه يتميز بتربته الغنية وإنتاجه الوافر تغطيه الكروم ومنه أشرف على بحيرة طبرية وصفد تلال عين جدي وجبل الشيخ وعند أسفل جبل طابور جهة الغرب تقوم قرية دبورية وعاد الى الناصرة عن طريق إكسال.[3]

النباتات الطبية الطبيعية

ورغم أن الإنسان قد دمر قسماً كبيراً منها مع الزمن فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات وقلما تجد تلة من تلالها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة.

ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها:

البلوط: ويشكل تجمعات شجيريه واضحة كما أن السريس والسنديان ينتشران بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة تتبعها أشجار الخروب والسعتر والنتش والزوفاء والميرمية والشومر كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة.

الدفلة: وهي شجرة دائمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة إذ تعتبر شديدة السمية للإنسان والحيوان وتؤدي بذورها الغثيان وانخفاض النبض وتدخل مستحضراته كمقوية للقلب.

العرعر: فصيلة سرويه يستخدم في الطب وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج فتجفف في الطل وتهوى وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول وتفيد كمقشعة للبول وللالتهابات التنفسية وفاتحة للشهية.

الطيون: نبات ذو ساق وأوراق عريضة لزجة لها رائحة غير محببة تستخدم في إزالة شوك ثمار الصبارعند قطفها ويستعمل كمادة مضادة للجراثيم وخواص مضادة للديدان الحلقية كما يدخل تركيبها في ترطيب الجلد الجاف عند استخدام البخار المنطلق من الطيون المغلي.

الزنزلخت: وهو شجر بري ويزرع في البيوت والشوارع أحياناً ويكثر في المزارع ويستعمل قشره كطارد للديدان، والمواد المستخرجة منه خافضة للحرارة ومنقوع ثماره المغلية تستعمل لأمراض الجذام ويعتبر الزيت الناجم عن البذور مقوياً للشعر كما يستخدم في أمراض الجلد.

الكينا: شجر معمر أوراقه مغزلية وجذوره قوية تمتد الى مسافات طويلة تؤثر في أساسات الأبنية تكثر في السهل الساحلي وحول الطرق العامة أوراقه غنية بزيت الأوكالبتوس القاتل للجراثيم. يدخل في تركيب عدد من المراهم المستعملة لتطهير مجاري التنفس والرشوحات ومرض الملاريا.

البابونج: نبات عشبي حولي تجمع النورات في فترة الإزهار الكامل ثم تجفف بالظل ضمن تهوية جيدة وتستعمل ضد الالتهابات وهي مطهرة تدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء ثم القصبات والسعال والربو.

المليسة: نبات عشبي أيضاً وهو معمر يكثر في الأماكن الرطبة وعلى حواف الأودية يستعمل بشكل واسع في صناعة العطور التجميلية كما يستفاد منها في المرطبات، وتستعمل طبياً قي حالات الضعف العام وحالات خفقان القلب كمما أنها مضاد للتشنج والمغص المعوي وكذلك للصداع والروماتزم.

الشومر: وهو من الفصيلة النجمية (اليانسون) يستعمل كمنشط للأمعاء وهو طارد للريح ومحسن لطعم كثير من الأدوية

تستعمل الثمار والزيت المستخرج منه في الصناعات مغذية ويعتبر أساساً صناعياً للمنتوجات العطرية والتجميل.

الحنظل: من الفصيلة الفرعية، نبات عشبي معمر تبدي ثماره فعالية مسهلة شديدة الفعالية ومسحوق البذور وخلاصتها تصلح كمواد مضادة للطفيليات.

السعتر: نبات معمر ينتشر بشكل واسع على المرتفعات المحيطة بالبلدة ويحوي على زيت طيار تستخدم أوراقه في الطعام مع الزيت كما أن الزيت المستخرج من أوراقه يستعمل في الروماتزم وأن مغلي هذا النبات يستخدم في الغرغرة والتهاب اللثة ومخاطية والتهاب الرئة وقرحة المعدة و الإثنى عشرية كطارد للديدان الخيطية ومضاد للسعال يكثر هذا النبات في المنطقة ويرافق السعتر له رائحة عطرة. وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات وبشكل خاص الحلق و اللوزات والأغشية المخاطية، تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء ويستعمل المنقوع أيضاً لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر.

الهندباء والخبيزة: وهي من النباتات الحولية تكثر في البراري وأطراف الأودية، وتقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة وهي غذاء أساسي للناس في موسمها كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل ومطهر للجراثيم وكذلك بالنسبة للسعتر.

الخلة: وهو نبات عشبي حولي وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة.

شجر الخروب: يكثر شجر الخروب في المنطقة وبشكل خاص على سفوح المرتفعات وقد إعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخروب ويحفظونها في أماكن خاصة حتى تجف ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة تسمى (الدست) ويغمر الخليط بالماء يوماً كاملاً حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلواً ثم يفرك الخليط ويطرح خارج الوعاء ويجفف الخليط ويستخدم وقوداً للطوابين ويستفاد منه لغذاء الحيوانات بخلطه مع مواد أخرى. أما الماء في الدست يغلى حتى يصير لزجاً وتزداد حلاوته ويتحول لونه إلى الحمار ثم الى اللون الأسود ويدعى دبس الخروب أو (الُرب)، ويعتاد أهل القرى في فلسطين أكلها وتموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عوناً لهم في الطعام.

وأحياناً يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف اليه الثلج ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس، والملفت للنظر أن أوراق شجر الخروب الغضة تحوي على مواد قلوية بشكل قوي فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ و لا تزال بالصابون العادي سوى بورق الخروب.

شجر الزيتون: ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الناصرة والجليل تجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني وكانت تستخدم الطرق القديمة على ضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر، وهناك معاصر

قديمة مؤلفة من حوض دائري وعلى حجر كبير دائري مثبت عامودياً بواسطة عمود خشب قوي يديره حيوان ويعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نباتات القصب على شكل دواليب وتوضع القفف بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين فيضغط اللولب على القفف فيسيل الزيت الى مستودع في الأسفل (بئر) وتسمى (البدود).

وفي البلدة ثلاث معاصر زيتون ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز). ثم تجمع في براميل وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار. وأغلبها يبطن بطبقة من البورسلان. والمعصرة الآلية في شعب يسمونها "البابور" .

الصبار: وشكل الصبار حزاماً يلف بعض الحواكير (قطع من الأراضي) ويعطي هذا النبات ثمراً لذيذ الطعم حلو المذاق يلتقط بواسطة الأيدي واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات والأقماع المعدنية المثبتة على عصا طويلة، ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب وتعتبر أحزمة الصبار لحدود الكروم سياجاً تحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي كما تعتبر عصارة ألواح الصبارة مادة قلوية لالتئام الجروح.

الحمضيات: ينتسب الى هذا النوع من الشجر عدد كبير من النباتات (الليمون– البرتقال – اليوسفي– الماندلينا والكريب فروت– والكباد.. الخ) وتجود زراعة أشجار الحمضيات على سفوح التلال ومنخفضاتها تتزين أراضي بيت حنينا بشكل خاص في فصل الربيع ببساط أخضر بنباتات متعددة ومتنوعة مثل النرجس وشقائق النعمان بينما تنطلق روائح الأزهار وتملأ الجو رائحة زكية عطرة تنعش القلوب وتثلج الصدور بينما تنقل الرياح هذه لروائح إلى مسافات بعيدة وعلى حواف الوديان تنموا أشجار الدفلى وهي تلبس أزهاراً وردية ملوحة بالأبيض تصدر روائح عطرة تجذب النحل من أأماكن بعيدة يتغذى برحيق الفواح.

وقد اعتاد السكان في البلدة زراعة بعض النباتات الزهرية في بيوتهم إما بشكل حدائق صغيرة الحجم أو بأصص وفي أواني متنوعة فيزرعون القرنفل والريحان والخبيزة والعطرة والخبيزة، و بعد الاحتلال وسلب الأراضي عوض المزارع في البلدة ومناطق القطع فقدان أراضيهم الزراعية على زراعة الورود بالبيوت البلاستيكية وتفننوا بتوضيبها وشحنها لأوروبا كمادة تجارية رابحة جذبت حب الأوربيين وتقديرهم لهذا الإنتاج المتميز من الأزهار والورود وبعض الأسر كانت فيما مضى تستخدم طحين الذرة في طعامها ويقال عن رغيف الذرة البيضاء (الكراديش).

إن طبيعة أراضي المنطقة من أراضي ومناخ وتباين في التضاريس هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية وقد استطاع العلماء تصريف الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات، وقد انقرض أكثرها منها الآن ومع ذلك فإن بعضاً منها لا يزال موجوداً بنسب متفاوتة منها على سبيل المثال.

طيور الحجل والشنار: ويعيش في المرتفعات بين الأحراش بين أشجار السريس والسنديان وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين وكان بعض الصيادين يأخذ فراخها ويدجنها في البيوت ضمن أقفاص ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور.

الرقطي والقطا: يشبه الرقطي الحمام تماماً ويقال عنها ستيتية لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقآ لها صوت عذب عندما تصدح باكراً تبني أعشاشها فوق أشجار الزيتون وكان صبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو بتربيتها في الأقفاص. أما القطا فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة لحمه قاس ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان إلى آخر بغية قنصه.

الزرزور: من الطيور الموسمية المهاجرة تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة حجمها متوسط ولحمها طيب يلاحقها الصيادون ويجمعون منها الكثير وتباع للمطاعم.

السمن والفري: وهو طير مقيم في كثير من الأحيان ويعيش بين جذوع الشجر الملتف ويتم تكاثره باستمرار رغم مطاردة الصيادين عن طريق الصيد بالبارود والفخاخ و النقيفات وهذا لطير متوسط الحجم لحمه لذيذ الطعم.

الزرعي: ويشبه طير السمن لكنه يعيش بين الزرع والأراضي المحروثة وأغلب صيده يتم عن طريق الفخاخ.

الهدهد: طير موسمي يكثر في الربيع والخريف جميل المنظر له قنبرة على رأسه تتوجه صيده غير محبب لقلة وجوده أولاً ثم لاتجاهات دينية ثانياً.

وهناك من الطيور الشائعة مثل (البلابل) والدوري الكركس والشحيبر والحنيني والآمي والسنونو..الخ من الطيور الجارحة (الصقور والبوم والغراب).

الحيوانات البرية والزواحف: توجد مثل هذه الحيوانات مثل (الضباع والثعالب والواوي و الذئب وغيرها بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر لزمن كما ا حرمها الإنسان من الأمان وجار عليها. ومن الحيوانات الأرضية (الأفاعي والخلد والجربوع والقنافد الخلد والسحاالي والسلاحف والحرادين ..)

ومن الحيوانات البرية والتي يؤكل لحمها الغزلان والأرانب وهي تعيش في بيئة صالحة في المدجنة وكانت كلاب ترافق الرعيان مع مواشيهم.

الماعز: إن بيئة المراعي في جو مناسب وطعام وافر متوفر بشلل كبير في أراضي بيت حنينا لكثرة لمراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال و الماعز بحاجة ماسة الى تسلق الشجيرات لأكل ما يطيب له لذلك نرى أعداداً منها تسرح في وتمرح في أراضي البلدة.

أغنام: وتأتي الأغنام بعددها وقد اختصت بعض الأسر بتربيتها ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن وتدر على أصحابها المال الوفير، ولم أعثر على المعلومات التي تقدر عدد المواشي في البلدة منذ زمن بعيد، إذ حملت جمالهم المعدات الحربية والمؤن للمعسكر إلى جانب الذخائر والجنود هذا في الحروب وأثناء السلم تحمل البضائع التجارية من مكان لآخر وظلت المواصلات قائمة حتى اليوم.

فالسيارات على أنواعها تمخر بواديها ليل نهار تعد بالمئات يومياً والحركة مفعمة بالنشاط وبشكل خاص عندما تبدلت وتطورت من قرية متواضعة الى بلدة حديثة تتمتع بكل مقومات التقدم.

الحمير والبغال والخيول: لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام واستبدلت بالسيارات والعربات التي تعمل بالوقود وبقي منها عدد قليل يوظف في الركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل إليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.

الأبقار: وتعتبر الأبقار من أغنى الثروات الحيوانية في بلدة إكسال وقد حاول البعض بناء الحظائر النموذجية حظائر عصرية تجمع بين الأبقار الأهلية والأجنبية وتبقى ترعى في مزارعها الخاصة ويقدم لها العلف في حظائرها لتعطي وتجود بحليبها بكميات لم يعرفها الفلاح من قبل وكلما تطورت العناية في التربية كلما ازداد الإنتاج جودة وقيمة إن طبيعة المنطقة كما أسلفنا جعلتها جاذبة للسكن منذ العصور.

المراجع:

(1) بلادنا فلسطين ج7 ق2 ص 88 مصطفى الدباغ

(2) الموسوعة الحرة وكيبيديا

(3) النباتات الطبيعية الطبية في بلاد الشام أحمد عويدات

(4) الحيوانات الطبيعية في بلاد الشام وصفي زكريا

الفصل الثاني

لمحة تاريخية

كان لموقع إكسال منذ فجر التاريخ دوراً بارزاً في حركة المواصلات بين الساحل الغربي الى مناطق الداخل يؤمها التجار والرحالة والمسافرون الى جانب القوات العسكرية على مر العصور إذ كانت القوافل المحملة بالعتاد والمؤن تحملها الجمال والبغال والحمير ثم العربات والسيارات هذه ا لأيام .تحمل البضائع القادمة من مصر براً والقادمة من شمال أفريقيا ودول أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط قاصدة الشرق نحو سورية والعراق، وقد عثر على مغر كثيرة فيها عظام بشرية تعرف يعود تاريخها الى خمسين ألف سنة وهي آثار الإنسان القديم وقد وسع الإنسان هذه المغار التي حفرتها المياه بفعل التعرية والحت الكيماوي والتي تدعى بالحت الكارستي (حجر كلسي) وبتم ذلك عندما تنزل الأمطار على الجبال والهضاب المكونة من صخور كلسية فيمتص الصخر المياه كالإسفنج وتأخذ المياه بتحليل الكلس وتحدث تجاويف بالصخر تتسع مع الزمن وتمتلئ بالماء وعندما تصل الى طبقات كتيمة (غضار) تستقر وتأخذ بالاتساع تكون خزانات في جوف الأرض وتخرج على سطح الأرض لتشكل الينابيع مثل نبع العوجا الذي تصل مياهها الى مدينة يافا، وينطبق هذا على كل الينابيع في العالم. وكانت ينابيع إكسال مرضية يعتمد سكانها على مياه الأمطار يحولونها الى آبار جمع يستفيدون بمياهها للشرب وتنظيف البيوت والغسيل وري النباتات المنزلية. وقد زودت بلدة إكسال بالمياه العذبة من المناطق المجاورة لها في العهد الأردني ثم وصلتها شبكة المياه القطرية الإسرائيلية هذه الأيام.

ووجدت أثار هياكل بشرية في رسوبات العرق الأحمر جنوب غرب مصب اليرموك في نهر الأردن ويعود تاريخ هذه الأثار إلى 600 ألف سنة-ثم الى 700 ألف سنة-(2)

1-الزراعة: مارس الكنعانيون زراعة الزيتون والكروم وقد عثر علماء الاثار على صهاريج وحفروا الصخر لعصر الزيتون والعنب في بعض الخرب في جبل صهيون وقد حفرت أنصاف دوائر في الصخر عمق الواحدة 20سم بجانبها حجر مصقول بشكل كرة لهرس الزيتون والعنب وقد وصف طبيب

اخناتون سنوحي المصري نشاطات السكان (الكنعانيون)في صناعة الخمور وابداعاتهم فيها وكان يتنقل بين المدن والقرى يعالج الناس مجانا إذ أحبه الشعب وأكرموه ولما رجع لم ينسى هذا الجميل وذكرهم في كتاباته ويذكر أنه تزوج كنعانية وله أولاد عاشوا بكنف الكنعانيين 1500سنة ق م.

ومن أقواله" أدنانهم مليئة بالنبيذ شرابهم للنبيذ بدل الماء" كما زرع الكنعانيون التين وكانت محاصيله من جملة المحاصيل المهمة وكانوا يجففونه ويدخرون كما نفعل هذه الأيام. وقد جففوا العنب لصنع الزبيب.

الرمان: وكانوا يستخرجون من عصارته نوع من الخمر كما كانوا يلونون معابدهم بالصباغ الذي يستخرج من قشره ويذهب البعض الى الهكسوس هم الذين ادخلوا زراعته من فلسطين الى مصر الى جانب الخيول والعربات التي تجرها الخيول.

الجميز: ما زال من الأشجار المعروفة وكان يكثر في الغور وقد قلت زراعته وهي أشجار صلبة خشبها من أجود الأخشاب وكانت تقدس في مصر وبلاد العرب.

أهتم الكنعانيون بترقية حالتهم الاقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جدا حتى سمي وطنهم (الأرض التي تقيض لبنا وعسلا) وقد وصف المصريون خيرات فلسطين الزراعية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بقولهم (كانت بساتينهم ملآى بالفواكه ووجدنا أدنانهم (الخمور) في دنانها كالماء في كثرتها وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطئ).

استخدمها الكنعانيون المحراث الخشبي أول الأمر بعد أن جلب سكان بحر إيجة معهم صناعة الحديد أخذ الكنعانيون عنهم هذه المهنة وأدخلوها في سكة المحراث (1) الخشبي والذي تجره الحيوانات، ومن الصناعات التي أبدع بها الكنعانيون صناعة الفخار بكل انواعه ثم الزجاج بكل اشكاله ونماذجه.

لقد أتقن الكنعانيون مهنة البناء وبرعوا فيها كما قام الفينيقيون وهم كنعانيو الأصل تجارة الأصبغة وأبدعوا في صباغة القماش وأدخلوا كل الألوان وزخرفتها واحتكر الفينيقيون صناعة الأصبغة التي استخرجوها من قواقع الأصداف الموجودة على نهر مصب نهر النعامين يستخرجون مادة أرجوانية اللون تدخل في صباغة الأقمشة القطنية والكتان والحرير.

المحراث الخشبي

بكل الفنون التي لم يعرفها أحد قبلهم ومع أن الفترة الكنعانية التي مرت بهم في فلسطين كانت طويلة فإن الاستقرار لم يدم ولم يتسن للبلدات الكنعانية أن تشكل وحدة أو إقليم لتشكل دولة إذ اعتبر الفراعنة فلسطين هي البوابة الرئيسة للعالم القديم وأن كل الغزوات لمصر تأتي منها لذلك كان همهم بقاء فلسطين تحت نفوذهم وهذا ما حدث فعلا إذ بقيت فلسطين تحت حكم الفراعنة مدة طويلة ولما جاء داوود وأسس مملكته، لم تبقَ مستقلة سوى فتره حكمه وولده سليمان ثم عادت لتتبع الحكم المصري.

تعرضت فلسطين الى مرور الجيوش الجرارة من كلدان و آشوري وبابليين، حوثيين وتلاقت في أسواقها بضائع الأمم من بلدان كثيرة وتلاقت الثقافات من لغات آرامية وسريالية وهيروغليفية وعبرانية ثم الإغريقية واللاتينية .وبعد ظهور الإسلام أصبحت فلسطين جزء لا يتجزأ من الخلافة العربية الإسلامية وما يهمنا هو ما ازدهرت بها منطقة القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي من المؤن والمواد الغذائية لهذه القوات مما حرك التجارة وانعشها في تلك الفترة الخلافة العثمانية وأثرها على الفلسطينيين خاصة والمناطق العربية عامة.

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على أنهم مؤسسي ا لحضارات ودعاة التقدم والإنسانية وأخيراً الحرية والديموقراطية فهل كان لليهود حضارة؟

دعونا نستمع الى أقوال علماء الغرب من غير العرب:

يقول غوستاف لوبون" ولما دخل اليهود الى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات فالمدن كانت عظيمة لم يسوروها وأباراً محفورة، لم يحفروها وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها وتعلموا من الكنعانيين العرب الزراعة واقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف منها على سبيل المثال: صناعة الفخار والخبز بالتنور وصنع الخمور وتربية

النحل وصنع الثياب إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص".

ويتابع غوستاف لوبون: ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية.[1]

ويتابع غوستاف لوبون ويقول:" لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ، ولما سارت لليهود مدناً في نهاية الأمر بيد أنهم كانوا غاية في العجز من أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم وقد اضطروا في إبان حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج فجلبوا البنائين والفنيين والعمال ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد".

ويقول سيغموند فرويد عالم النفس اليهودي " وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي إ ذ تغيرت أثناءها أحوالهم ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثرهم وتخلقهم بالبابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين فتولد عندهم عقدة النقص وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة نسبوا لأنفسهم كل عظيم".

ويقول المؤرخ فيليب حتي:" ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية وكان الموسيقيون الأول من الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم وعندما بدأ داوود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاها سليمان من بعده لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن إتباعه سوى النموذج الكنعاني" ويتابع حتي أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلههم فينوس اله الخصب وكان الرجل يقطع حلمة بشره ليقدمها على المذبح وكذلك الفتاة العذراء كانت تفض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم".[2]

ويقول العالم بروستد:" لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية الى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف مهمة، حضارة اقتبسها اولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين" لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت

الكنعانيين وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضا عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي وبعد زمن معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم" كما هو حال المهاجرين العرب الى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم يكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم.

نحن لا ننكر ما وصل اليه اليهود في العالم و ما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ إذ تعرضوا للقهر والإهانة وبشكل خاص في القرون الوسطى وهم يعترفون وكتابهم عبروا بكتبهم بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجدوه في أي شعب ساكنوه إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة.

أما الآن فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والإمبريالية الأمريكية.

وفي **العهد اليوناني:** قام القائد الإسكندر المقدوني بحروبه احتلال بلاد الشام وقضى على إمبراطورية الفرس ثم دخل مصر وبنى مدينة الإسكندرية وبعد موته تقاسم الحكم بعده بطليموس في مصر وسلوقس في بلاد الشام وقد تركوا حضارة جديدة قبل حكم الرومان تدعى بالحضارة الهلنستية.

العهد الروماني: جاء **الرومان** وقسموا البلاد إدارياً الى ثلاثة أقسام :

تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام إدارياً كما في الخريطة المجاورة:

كانت منطقة رام الله والبيرة من المراكز التجارية الهامة زمن الرومان إذ كانت الرامة تعبرها القوافل لوجود الخانات وينابيع المياه وكانت يسميها الرومان رامات أي بمعنى الحصن.

التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي

وفي العهد الإسلامي كانت منطقة البيرة ورام الله ضمن جند الأردن وفي عام 1099م وقعت تحت حكم الفرنجة واصبحت رام الله تحت حكم الصليبيين مستعمرة زراعية وسموها رماليا حيث يوجد بقايا برج صليبي في البلدة القديمة وقد حررها صلاح الدين الأيوبي عام 1116م.

الفترة العثمانية

لا حاجة لبحث بلدة في ظل الحكم العربي إسلامي لأنها حكمت كما حكمت البلاد التي أصبحت تحت الإمبراطورية الإسلامية.

إذ كانت الفترة (1516–1918) وهو انتهاء العهد المملوكي حيث كانت المناطق الواقعة الى الشمال والشرق في بلاد اشام والعراق باتجاه الأناضول وشرفه منذ مطلع القرن السادس عشر يسوده صراع على القوة بين قوى ثلاثة (الدولة العثمانية المتمر كزة في إستانبول والتي امتد نفوذها على البلقان والأناضول خلال قرنين من الحروب والتوسع والدولة الصفوية الناشئة والقائمة في تبريز والتي حاولت التوسع بدورها وتستقطب القبائل التركمانية التي تعد من عماد قوتها ثم السلطة المملوكية الهرمة والتي كانت تحكم من القاهرة وتعاني الكثير من الضعف.

وكانت المملكة الفاصلة الأولى بين هذه القوى المتصارعة بزعامة السلطان سليم الأول والدولة الصفوية بزعامة الشاه إسماعيل في(جالديران) قرب تبريز في 2 رجب 920هـ الموافق 1514م، وانتصر العثمانيون باستخدامهم للأسلحة النارية وبعد عامين

انتصر العثمانيون في معركة مرج دابق في 23آب 1517م الموافق 22 رجب 922 هـ كانت هذه المعركة نهاية سلطة المملوكية.

إن ما يهمنا هو دراسة المنطقة في العهد العثماني لما تركه هذا الحكم خلال أربعة قرون من الزمن سادها التخلف والفقر وقضت على ما نصته الشريعة من أحكام وكثرت المنازعات والخلافات بين العشائر والعائلات في حفظ الطرق والمدن ثم جمع الضرائب للباب العالي وقد تطور هذا السلوك في الحكم إلى فساد الأخلاق، وكثرة التمرد وانتشرت الفوضى وعانى الفلاح من تسلط العشائر على القرى الزراعية من نهب الخيرات من انتاج زراعي وحيواني حتى أن بعض أبناء الأسرة تمردوا على أبيهم وأعانوا أعداءه عليه مثلما حصل مع ظاهر العمر.[5]

وقد اهتمت السلطات بهذا الأمر وأعطته أهمية كبرى للسيطرة على حكم البلاد أولاً ثم وضع الضرائب التي تجمعها عن طريق الملتزمين من زعماء القرى والمدن التي أطلقت الدولة أيديهم في جمع الضرائب وحماية الطرق واستتباب الأمن، وكان لهذه الإحصاءات إثر في معرفة النمو السكاني منذ القرن السادس عشر الميلادي كما صرنا نعرف عدد المسلمين–المسيحين –اليهود في البلاد وتوزعهم.

وصف الرحالة الشيخ مصطفى البكري إلى بلاد قد كثر فيها التمرد وانتشرت الفوضى وعانى الفلاح من تسلط العشائر على القرى الزراعية من نهب الخيرات من انتاج زراعي وحيواني حتى أن بعض أبناء الأسرة تمردوا على أبيهم وأعانوا أعداءه عليه. (1)

اهتمت الدولة العثمانية في أول عهدها بتعداد السكان واعتمدت بتقديرات التعداد إحصاء البيوت في القرى والمدن وضرب عدد البيوت x 5 أفراد باعتبار متوسط الأسرة في البيت خمسة أشخاص. وبعد صدور فرمان الإصلاح عام 1858، فقد حاولت الدولة حفظ الأمن وفتح المدارس في بعض القرى الكبيرة كما أن السلطان عبد الحميد الثاني الذي استلم الخلافة عام 1876 وإصداره الفرمان الذي يحرم فيه بيع أيشبر من أراضي فلسطين لكن الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار استطاعت بطرق ملتوية استغلال القنصليات الأجنبية شراء أراضي في فلسطين بلغ عددها 30 ألف دونم.

1) **إبتاح تكفا:** ومعناها (باب الرجاء) أقامها الصهاينة عام 1881 على أراضي ملبس قرب يافا وعلى قسم من الأراضي البالغة عشرة آلاف دونم اشتراها الصهاينة من مالكها اللبناني(تيان).
2) **ريشون ليتسيون:** أقامها الصهاينة عام 1881 على أراضي (عيون قارة) العربية وتبلغ مساحتها 2340 دونم حجزتها الحكومة التركية وعرضتها للبيع بالمزاد العلني بسبب عجز أهلها أصحابها العرب عن سداد الضرائب للحكومة التركية فحاول مهاجر صهيوني من الروس (ليغونتين) شراءها

لكن الحاكم العسكري التركي رفض استناداً الى قرار السلطان بيع الأراضي في فلسطين لليهود، فقام القنصل البريطاني في يافا وهو الحاخام أمزيبليغ بشراء تلك الأرض من الحكومة بصفته قنصلاً بريطانياً بسعر 15 فرنكاً للدونم الواحد وقام بعد ذلك بتحويلها إلى الصهاينة وأقاموا عليها مستعمرتهم ريشون ليتسيون.

3) **مستوطنة روشبينا:** أقامها الصهاينة على قطعة أرض يملكها يهوديان من يهود صفد فريدمان وفشتاين من ضمن أراضي قرية الجاعونه سبق أن ابتاعها من مالكها اللبناني ثم باعها الى روتشيلد عام 1882 حيث أقام عليها 50 عائلة من مهاجري رومانيا.

4) **زخرون يعقوب:** (زمارين) أقيمت عام 1882 على قطعة أرض مساحتها 5000 دونم اشتروها من أحد المستثمرين الفرنسيين وتقع أراضيها على جبل الكرمل الجنوبي لحيفا وكان الفرنسي يزرعها بالعنب للتصدير إلى معامل الخمرة وتم بيعها عن طريق القنصل الألماني والنمساوي يدعى إميل فرانك، وكان إلى جانب كونه قنصلاً كان وكيلاً للسفن البريطانية التجارية في الموانئ العربية، وزخرون يعقوب هذه سميت على اسم جيمس يعقوب روتشلد ترتفع عن سطح البحر زهاء 170متراً.

5) **مستوطنة نس تيونة:** أقامها الصهاينة عام 1883 على مساحة 2000 دونم من سهل الحولة اشتروها من قنصل فرنسا ووكيل القنصلية في صفد ويدعى يعقوب عبو وسبق له أن ابتاعها من مالكها اللبناني (تيان) وأقام فيها مهاجرين من بولونيا.

6) **مستعمرة المطلة:** أقامها الصهاينة عام 1883 على أراضي قرية عقرون قرب يافا واشتروا أراضيها من مالكها اللبناني (تيان).

7) **مستعمرة عكرون:**(مركز بيت بانيه) أقامها الصهاينة عام 1883 على أراضي مقرون قرب يافا واشتروها من مالكها اللبناني (تيان).

8) **مستوطنة غدير:** أقاموها عام 1884 على أراضي قرية قطرة قضاء الرملة اشتراها القنصل الفرنسي في يافا.

9) **مستوطنة مائير طوقيا:** أقامها الصهاينة عام 1887 قرب يافا واشتروا أرضها من مالكها اللبناني (تيان).

10) **مستوطنة شلومو:** أقاموها عام 1889 على نفس الأرض التي أقاموا عليها زخرون يعقوب والتي اشتراها المالك الفرنسي جنوب حيفا على الكرمل.

11) **مستوطنة الخضيرة:** أقاموها عام 1890 على أراضي الخضيرة العربية على ساحل جنوب حيفا.

12) **مستوطنة شافية:** أقاموها عام 1889 على أراضي زخرون يعقوب.

13) **مستوطنة دحقوت:** أقاموها عام 1890 اشتروها من مالكها اللبناني (تيان) جنوب حيفا.

14) مستعمرة **مشمار هياردن:** اشتروها من ملاكها اللبنانيين رب الحدود السورية الشمالية مع فلسطين عند جسرينات يعقوب.

15) **مستوطنة سوتا تحتين:** أقيمت عام 1894 قرب مدينة القدس على أرض يملكها اليهودي البريطاني (مونتغور).

16) **مستعمرة غان شيموئيل:** أقاموها عام 1894 وكان يقيم في هذه المستعمرات الأربعين حوالي 12 ألف مستوطن، حتى عام 1918 وهو تاريخ الانتداب للصهيونية أكثر مما تتوقع في سلب الأراضي وفتح أبواب الهجرة على مصراعيها وسهلت للصهيونية كل مقومات وجودها الاقتصادية والمؤسساتية والمنظمات والعصابات العسكرية حتى باتت دولة إسرائيل داخل الكيان البريطاني وقد عملت حكومة الانتداب كل ما وسعها لتقدم ما أنجزته هذه الحكومة الظالمة لشعب فلسطين من قهر وقتل وعقاب. لقد قدمت الحكومة البريطانية كل ما بنته من موانئ ومطارات ومصافي بترول ومعسكرات كانت تأوي 80 ألف جندي وطرق معبدة وخطوط حديدية لم توجد مثلها بالشرق الأوسط وسلمتها على طبق من ذهب مطلي بدماء أبناء فلسطين دون وخز ضمير أو مسحة إنسانية. لقد أوفت بريطانية المجرمة بوعدها المشؤوم وهي التي أقامت دولة إسرائيل بكل مقوماتها ليس حباً باليهود، بل كرهاً للعرب.

المراجع:

(1): العرب واليهود في التاريخ د:أحمد سوسة

(2): تاريخ سورية القديم ج1 فيليب حتي.

(3): العرب واليهود في التاريخ د: أحمد سوسة العارقي.

(4): تاريخ الحضارات د:جورج حداد.

(5): الموسوعة الفلسطينية خاص ج2 د.عبد الكريم رافق.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

(زراعة، صناعة، تجارة، سياحة)

لقد أثرت النكبة في حياة الناس وقلبت المفاهيم وصدمت الطموحات وهام هؤلاء على وجوههم لا مال ولا مأوى فقد داهمتهم الأحداث وتجهم الواقع وسقطت فلسطين التي عاشوا في كنفها أكلوا هم وآبائهم وأجدادهم وشربوا من أرضها وتفيئوا في ظلال زيتونها وبيارتها وكانت منزلتهم فيها كمنزلة دول الخليج جاذبة للعمالة تغص بأبناء العرب القادمين إليها من كل الصناعات والحرف فازدهرت البلد وعاش الناس في بحبوبة وسعادة.

وقد حرمهم الاستعمار هذه النعمة وأعطاها لغيرهم وزرعوها واعتنوا بها لخراب الأمة العربية وافقارها بشراء سلاح لم يستخدم لشعوب المنطقة للدفاع عنها وإنما ليستخدمها الحكام ضد شعوبهم ونحن نرى كيف يستخدم هذا السلاح هذه الأيام في تمزيق العرب والغرب فرح مبتهج واسرائيل تتشفى بالعرب وتبالغ في تشويه كل شيء جميل للعرب وحكام العرب يسيرون في ضلالهم لاهم لهم سوى البقاء في الحكم ولو على جماجم الضعفاء ودماء الأطفال البريئة.

هجرة الفلسطينيين عام 1948

لقد استعمل الصهيونيين أبشع الطرق والأساليب غير الإنسانية في محاولة منهم للتخلص من سكانها وإجبارهم للنزوح عن ديارهم وقد نتج عن ذلك هجرة أكثر من 750 ألف نسمة الى الضفة الغربية والأردن وسوريا ولبنان والعراق وقطاع غزة والدول العربية المجاورة وقد دمر العدو 385 قرية عربية تدميراً كاملاً وازالتها من الخريطة وذلك عام 1948.

لقد عانى سكان فلسطين في أرضهم المحتلة عام 1948 الكثير من التضيق عليهم في ظل الحكم العسكري وكانوا يعيشون في سجن كبير فرضه عليهم الاحتلال الإسرائيلي وفي حرب عام1967 استولى الجيش الإسرائيلي على كامل الأرض الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة) كما استولى على سيناء والجولان وقد اتخذ العدو الصهيوني هذا النصر نبراساً لهم في الانتقام من العرب بدلا ممن ذبحوهم وأحرقوهم من حكام النازية بألمانيا فاتخذوا الاضطهاد عنواناً في تعاملهم للمواطنين العرب من سلب أراضي وتقييد حركة ومنع تجول وضرورة الحصول على تصاريح للتنقل، يمكن حصر المضايقات تلك بما يلي:

1) تقييد الحركة بالنسبة للمواطن.

2) تخريب المقدسات المسيحية والإسلامية إذ تم عام 1948 هدم أكثر من 350 مسجداً وكنيسة.

3) استمرار الحكم العسكري في المناطق العربية المحتلة.

4) نسف المدن الصغيرة والقرى.

5) إتلاف الفواكه على الأشجار المثمرة.

6) مصادرة محاصيل العرب وإجبارهم بيعها للحكومة بأسعار منخفضة بالإضافة إلى اغتصاب الأرض بشتى الحيل.

7) سن القوانين الضارة بالعرب.

8) القروض إجبارية (مبالغ مالية بفوائد عالية تقدمها السلطة إلى المزارع لزراعة بعض المحاصيل التي يحتاجها المحتل في الصناعة)، تعرض المواطنين العرب لغارات الجيش تحت حجج هو يخلقها وقد سنت حكومة الاحتلال عشرات القوانين بغرض الاستيلاء على أراضي المواطنين حسب الأساليب التالية:

أراضي مناطق الحدود

كذلك أصدرت السلطات الإسرائيلية في فترة حكم الليكود مجموعة جديدة من القوانين العنصرية التي تستهدف التضييق على المواطنين العرب وتشريدهم من ديارهم وقراهم، أهمها: [1]

1) قانون كتساف عام 1979

ويقضي هذا القانون بمنع شركتي الماء والكهرباء وإدارة الهاتف والبريد والمجالس المحلية من تقديم الخدمات التي تعتبرها السطات المحتلة غير قانونية والتي اضطر أصحابها الى إقامتها بسبب زيادة السكان وسياسة تقليص مسطحات البناء لهذه القرى مما تسبب بتشريد عشرين ألف مواطن عربي وتدمير ستة آلاف منزل وقد طبق القانون بأثر رجعي.

2) قانون التحسينات

يقضي هذا القانون بفرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها 50% من قيمة التحسين مقابل تزويدهم بالتكنلوجيا الزراعية الحديثة وذلك لحملهم على ترك أراضيهم بسبب ضيق اليد.

3) قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة

يؤدي هذا القانون الى طرد المواطنين العرب الذين يستغلون أراضي الدولة منذ فترة الانتداب البريطاني وليست لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لهذه الأراضي حيث تعتبرهم سلطات الاحتلال غرباء وتم مصادرة 150 ألف دونم آنذاك من أرضي 17 قرية في الجليل وقد صدر هذا القانون في 1982/10/7م وقد ضمت هذه الأراضي الى المجلس الأعلى للمستعمرات اليهودية في المنطقة (مسفاف).

4) تحديد حرية الانتقال

استغلت السلطات العسكرية لفرض أحكامها على المناطق التي يتركز فيها المواطنون العرب في الجليل والمثلث لعقدين من الزمن إذ تحولت هذه المناطق لسجن كبير يحظر الخروج أو الدخول اليها إلا بتصريح من الحاكم العسكري الذي كان يرفض منح تلك التصاريح حتى باتت القرى تعيش في زنزانات عديدة.

5) **تحديد أسعار المواد** مثل: المحاصيل الزراعية إذ حذرت سلطات الاحتلال على المزارعين التصرف بمحاصيلهم وحتمت عليهم تقديمها لشركة صهيونية ففي خريف عام 1952 استولت السلطات على بعض المنتجات الزراعية في المنطقة الشمالية بدون مقابل.[1]

الزراعة

تملك بلدة إكسال من الأراضي ما مساحته 9000 دونماً منها 86 للطرق والوديان، غرس الزيتون في 975 دونماً كما غرس أهل البلدة أشجار التين والعنب وغيرها كما زرع الفلاح القمح والشعير والقطاني والخضار.[1]

صادرت سلطات الاحتلال بعض أراضي البلدة بعد النكبة وحولوها إلى بعض مستعمراتهم وأقاموا الورشات الصناعية الإسرائيليين لقد كان إنتاج أهل إكسال من الحبوب والبقول والخضار والدواجن والألبان ما يكفيهم ويزيد عن حاجاتهم فيباع بالأسواق تنتج من الأقوات ما يكفي أهلها ويزيد من البقول والخضار والزيتون والفواكه ومن الدواجن الكثير من البيض وأفراخ الدجاج وكانت كل أسرة ما يكفيها من البرغل والعدس والزيوت الى جانب الحمام والزغاليل وكانت المواشي تسرح وتمرح تتغذى بنبات الأراضي

المكسوة بالخضرة ومن الألبان يصنعون الجبن والزبدة واللبن المصفى والسمن وكانت أسرة الفلاح في بحبوحة من العيش الكريم وظلت هذه حالة المزارع في العهد الأردني بينما تطورت الزراعة وتربية الحيوان باستخدام الأتمتة والمخابر العلمية ووجود خبراء الزراعة ووسائلها من آلات ومعدات حديثة ضاعفت الإنتاج كما استحدثت مزارع الأبقار والأغنام بأبنيتها الضخمة والمزودة بالمذاود والتبريد في الصيف والتدفئة في فصل الشتاء كل هذا حدث في الربع الأخير من القرن العشرين وباتت البيوت البلاستيكية تتوزع على منحدرات الجبال تزرع فيها جميع الخضار، إلى جانب نباتات غذاء الحيوانات كما زرعت الأزهار بأجود أنواعها، وفصائلها رائحة، ورونقاً، وجمالاً.

وقد أضاف المزارع غرس أجود أصناف التبغ واقتنى خلايا النحل التي تتغذى بما حولها من أزهار ونباتات عطرة مثل اليانسون والشومر. لقد حرم الاحتلال سكان البلدة من هذه النعم وسخرها في بناء المستوطنات واحلال الغرباء وتضييق الخناق على عرب فلسطين ليعيشون في بؤر محدودة لا يمكن تجاوزها بما يحيط بالبلدة من مستوطنات.

كل هذه الممارسات الظالمة هدفها هروب الناس من الجحيم الذي يعيشونه وقد قابله أصحاب الأرض بالتحدي وقد مر حتى الآن سبعة عقود ولم يترك الشعب الفلسطيني أرضه وزاد إصراره على التمسك بها والعمل على أعادتها إن عاجلاً أو آجلاً. وحركات التاريخ تتذبذب للأعلى والأسفل وسرعان ما شهدنا دولاً صعدت بسرعة ثم اندثرت وما المانيا واليابان عنا ببعيد العمالة وأثرها على المزارع الفلسطيني عام 1948.

تعاني جمعيات المزارعين العرب بمشاكل تحد من نشاطاتها تتجلى بما يلي:

- آجار العمالة وتدنيها في مزاحمة المزارع العربي. صعوبة التنقل بين الداخل والضفة والقطاع.
- صعوبة تصاريح العمل للعمالة بين الضفة والداخل المحتل.
- صعوبة نقل البضائع وإخراجها بسبب الحواجز وتلفها.

الصناعة

كانت الصناعة في بلدة إكسال في مطلع القرن العشرين عبارة عن حرف يدوية بسيطة تعتمد على القوة العضلية مثل: الحدادة (صناعة سكة المحراث و حدوات الخيول والبغال والسكاكين والخناجر وغيرها من أدوات القطع إلى جانب ركاب الخيل المعدني (نحاسي أو حديد) والسلاسل الحديدية).

مهنة صناعة الجلد: دبغ جلود الحيوانات وصنع الأحذية وسروج الخيل وأحزمتها ومعاطف الجلد على أنواعها ولم يكن في القرية سوى حداد واحد وصانع أحذية واحد ودباغ واحد وقد تعددت هذه الحرف مع تزايد السكان حتى منتصف القرن العشرين حيث بدأت تظهر مهن أخرى مثل: الخياطين وحدادي الأبواب والنوافذ والنجارين على أنواعهم نجاري الأبواب والنوافذ ونجارين الموبيليا وورشات صناعة البلاط والألومنيوم والبلاستيك والنحاس ومواد البناء من الكلس والفحم الخشبي وحديد الباطون وطحن الحجارة وتكسيرها وقصها وتلميعها وسكب الرخام وبواري أدوات صحية والتمديدات الصحية للبيوت والطاقة الشمسية وصهاريج الماء الى جانب تطوير صناعة الفخار وطليه بالبورسلان وإنتاج نماذج سياحية.

وقد عملت بلدية إكسال على تطوير البلدة منذ عام 1960 حيث أسس أول مجلس للبلدة حيث قام رؤساء المجلس في تنظيم الشوارع وتعبيدها وزودوا القرية بشبكات الماء والكهرباء والهاتف وبنوا الأسواق والمرافق العامة من مدارس ومصحات فقد تعجب لما تراه من في البلدة القديمة من بيوت طينية آلية للسقوط وأزقة ضيقة ملتوية وبين ما تراه في العمران الجديد من شوارع مستقيمة معبدة تحف على جوانبها المحلات التجارية والأسواق.

وترى سقوف القرميد تتوج سطوح البيوت والجنائن تحف جدرانها فتنقي هواءها وتنعش صدور ساكنيها وكان الحذاء في الماضي تقوم صناعته على نوع أو نوعين من الأحذية بينما ترى ورشات الأحذية تفخر بجودة صناعتها وتنوع أشكالها،وقد امتلأت المحلات التجارية من الأحذية المستوردة الرخيصة الثمن والمنفعة.

التجارة

إن التجارة نشطة في البلدة يعززها الكثافة السكانية ومستوى معيشة الأسرة وقد قضي على الأمية نهائيا في البلدة وبات عدد المثقفين بفيض عن حاجة البلد ويلجأ بعض الخريجين العمل في الخارج يزودون ذويهم بالحوالات المستمرة ويوظفون بعضها بمشاريع استثمارية مفيدة وقد شاركت المرأة الرجل في الوظائف الحكومية والخاصة بعد أن تعلمت وحصلت على الشهادات، ولم تعد عالة على أهلها ومع ذلك نرى بعض النسوة في البلدة وقد اعتادوا على شغل التطريز وصنع أدوات من سيقان القمح والشعير وإنتاج اطباق القش الملونة تستخدم ديكورات تعبق على جدران الصالونات إلى جانب تطريز الملابس النسائية وقد رأيت ثوب يباع بسعر خيالي قي هيوستن وصل حتى ثلاثة آلاف دولار أمريكي وهنيئاً لإخوتنا وأخواتنا في بيت لحم وقضاءها ورام الله ومحيطها لهذه الصناعة المجدية للجيب والسمعة وكم رأيت من نماذج خشب الزيتون المتنوعة الأحجام والألوان مرصعة بالصدف تبهر العيون وتشرح الصدور حقاً ومع كل التقدم والتطور في الزراعة والصناعة فإن الحركة الاقتصادية في الوسط العربي ليس مرغوب فيها من المواطنين العرب بسبب.

1) التحاق الشبان الى وظائفهم في دول الخليج أو إكمال دراساتهم العليا في الخارج.
2) مزاحمة العمالة الآسيوية في الأجور وتعذر العمالة العربية نتيجة المنافسة.
3) صعوبة تسهيل تصاريح العمل للعمال العرب بدخول فلسطين 1948.
4) مشاكل المواصلات والحواجز التي تعيق حركة التجارة وعواملها المدمرة للاقتصاد الفلسطيني المدمر والمتجدد.

وقد سمعت جهود كبار المزارعين وكبار تجار بلدة إكسال وكفاحهم تنشيط الزراعة والصناعة مع كبار المسؤولين في إمكانية خلق مشاريع اقتصادية يمكن تنفيذها في رفع مستوى الحياة للمواطنين العرب وأن عندهم من الكفاءات أكثر من غيرهم حكام البلاد وهذا ما عبر عنه السيد عبد السلام محمد دراوشه في لقائه مع وزيرة الزراعة الإسرائيلية عند زيارتها للبلدة.

المراجع:

(1): مصطفى الدباغ، "**بلادنا فلسطين– القسم الثاني– الجزء الثامن**"، دار الهدى: كفر قرع، 1965، ص: 88.

(2): مصطفى الدباغ، "**بلادنا فلسطين– القسم الثاني– الجزء الثامن**"، دار الهدى: كفر قرع، 1965، ص: 90.

(3): مصطفى الدباغ، "**بلادنا فلسطين– القسم الثاني– الجزء الثامن**"، دار الهدى: كفر قرع، 1965، ص: 94.

(4): مصطفى الدباغ، "**بلادنا فلسطين– القسم الثاني– الجزء الثامن**"، دار الهدى: كفر قرع، 1965، ص: 96.

(5): مصطفى الدباغ، "**بلادنا فلسطين– القسم الثاني– الجزء الثامن**"، دار الهدى: كفر قرع، 1965، ص: 95.

الفصل الرابع

التعليم وأعلام إكسال وثقافة المقاومة

لقد عانت إكسال الجهل في زمن الحم العثماني الطويل على العرب وغيرهم أجمعين حتى أن السلطان سليم أول العثماني عندما احتل مصر وبلاد الشام رأى الصناع والحرفيين ما أهله وعاد الى الآستانة ومعه الآلاف وحرم المنطقة العربية من خيرة العلماء والخبراء وبقي العرب يعيشون في ظلام قاتم.

وفي نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين بدأت الدولة في إحداث بعض المدارس في فلسطين وبشكل خاص مدارس القرى في الناصرة فأنشأت مدارس ابتدائية في كل من صفورية وكفر كنا والرينة لا تتجاوز صفوفها الخامس ابتدائي.

بينما كانت الكنائس التبشيرية في كل عموم فلسطين تعم مدارسها كل مراحل التعليم الأساسي وتجاوزته إلى التعليم العالي، وفي عهد الانتداب البريطاني كان قضاء الناصرة يضم 23 قرية وعشيرة.

وفي عام 1942–1943 كان هناك 14 مدرسة منها 12 مدرسة للبنين ومدرستان للإناث وكانت مدرستي صفورية وطرعان ابتدائيتين كاملتين.

كما كان الصف الخامس إبتدائي في مدارس عيلوط ودبة رية وعين ماهل و(إكسال) والثالث الابتدائي في المجيدل ومعلول، والجدول التالي يمثل عدد الطلاب العرب في مدينة الناصرة في الأم الدراسي 1943–1943 ونسبتهم إلى من هم في سن التعليم من 5–15سنة:

- مجموع الطلاب 1,745
- مجموع الطالبات 1,224
- عدد البنين في سن 5–15 1,650
- عدد البنات في سن 5– 15 1,550
- نسبة الطلاب إلى عدد 100%
- من هم في سن التعليم 79%

وكان التعليم زمن الانتداب يتعلق بميزانيات وزارة المعارف التي كانت مفتوحة لبناء الطرق والسكك الحديدية والموانئ والمطارات وغيرها من الخدمات التي كلفتها عشرات الملايين من الجنيهات الإسترليني آنذاك وسلمتها على صحن من ذهب لدولة إسرائيل، رغم أن شعب فلسطين كان يسد النفقات في الميزانية

لأجل التعليم وقد ساعد هذا الشعب بتأسيس سكن الطلاب في بعض المدن لتسهيل طلاب العلم في مدارس عكا والناصرة وحيفا والمدن الأخرى مثل نابلس والقدس.

لقد نشط التعليم في بلدة إكسال فتعددت المدارس الرسمية في كل مراحلها وتضاعف عدد الطلاب والخريجين والدراسات العليا وأصبحت الأمية معدومة وبشل خاص بين الذكور وأهم المدارس يمكن حصرها بما يلي:

مدارس إكسال الإبتدائية ذكور إناث

مدارس إكسال الإعدادية ذكور إناث

مدارس إكسال الثانوية ذكور إناث

مدرسة إكسال للمعاقين القطرية

ومن أسماء المدارس على اسم الزهراء الإعدادية ومدرسة البيروني إكسال وإكسال ب وإكسال ج إلى جانب مدرسة إكسال الثانوية.

لم أعثر على معلومات جديدة تفيدني في شرح التعليم ودوره في حياة سكان البلدة علماً بأن كل العوامل الدراسية متاحة لأهل البلد وقد تخرج المئات في مجالات العلوم العالية من مهندسين بفروعها ومحامين وأطباء في كل التخصصات وباتت بلدة أكسال في مظاهر أبنيتها بلدة تشبه المدينة في خدماتها ومنذ عام 1960.

الفصل الخامس

ثقافة المقاومة في بلدة إكسال

(قصة، والرواية، المسرحية، الشعر والنثر الفن)

بعد أن تخلص العرب من حكم العثمانيين كانوا يتوقعون بأن الدنيا فتحت أبوابها وأن العودة إلى ماضيهم الذهبي قد حان تحقيقه لكن الأمل ضاع وتجهم الواقع ووجدوا نفسهم تحت احتلال جديد مقيت وقد توافد القدة والزعماء من رجال فلسطين إلى دمشق لتتويج الملك فيصل حاكماً للعرب.

لم يفكروا أبداً بكراسي الحكم همهم الوحيد بقوة الوحدة ومنذ أن دخلت بريطانيا أراضي فلسطين قبل مئة عام قامت المقاومة ولا تزال بالسلم والعنف حتى يومنا هذا وتعرض شعبنا الفلسطيني لظلم حكام العرب أكثر مما تلقوه من غيرهم فجامعة الدول العربية بدل تحرير فلسطين تركت لبعض زعمائها تبني فكرة "أن فلسطين هي قلب الأمة العربية وتحريرها مناط بالدول العربية.

وفي أحد مؤتمراتهم نصحهم النقراشي باشا بأن لايتدخلوا ويرسلون الجيوش بل ساعدوا الفلسطينيين بالمال والعتاد وهم قادرون على إفشال الهجرة والاستيطان وقاوم بعض القادة هذا الرأي وباتت القضية الفلسطينية بيد الجامعة العتيدة التي أضاعت فلسطين وشردت شعبها وتأكيداً لكذب الساسة العرب ذهب عبد الرحمن باشا رئيس الجامعة العربية بصحبة ثلاثة من زعماء فلسطين عام 1947 إلى الرياض لاستقبال الملك عبد الملك آل سعود وطلبوا منه أن لا يوقع مع الشركات الأميركية عقد استثمار البترول بشرط عدم مساعدة اليهود، وقد رفض الملك هذا الطلب مدعياً أنه طلب معيب في إبطال الصفقة المنشودة.

كما أن قادة المقاومة الفلسطينية في منظمة التحرير طلبت من قادة جامعة الدول العربية حسم 1% من مدخولات النفط لمنظم التحرير الفلسطينية باعتبار أن المقاومة الفلسطينية هي درع العرب أجمعين.

وكان الرفض مؤلماً شحن الصدور غيظاً والقلوب خيبة وحزناً، لقد ظل شعبنا يكافح ويناضل بكل الأسلحة المادية منها والفكرية ولم يركع ويستكين لجبروت العدو وأما سفهاء بعض قادة العرب هانت عليهم كرامتهم بتمسكهم بالكرسي المدعومة بجشع عدو العرب: يا إخوتي لا تيأسوا فقد انكشف غطاءهم واقترب العقاب على حماتهم وحركة التاريخ تعود إلى الحق والعدل وأرى المفسدون بالأرض قد جاءهم بعض حكام العرب مهرولين مهزومين من عدو جديد اسمه إيران والتجأوا إلى عدو العرب نتنياهو

وترامب الأمريكي الصهيوني المتعطش للمال يهدد ويخيف همه إرضاء الصهاينة لا يرد طلباً لنتنياهو ولم يعرفوا بعد أن العالم كله يكره أمريكا بعد أن تأكدوا بأن ترامب النرجسي فتيله المال ولو كان على جماجم الضعفاء ودماء الأطفال العبيطة وسوف نرى كي يرتد كيدهم الى نحورهم في تأليب العالم على العرب والمسلمين وتغيير المفاهيم والمعتقدات في تزوير الحقائق وطمسها وكان لهم ذلك أول أهل فلسطين خلال قرن وصمدوا ولن يتنازلوا عن حقوقهم فإن أموال الدنيا ومغرياتها لا تستطيع منعهم من التنازل عن الأرض والعقار وقطرة الندى، ورائحة ورود أرضه في وطنه فلسطين: نحن لم نسكت ولن نسكت فالمقاومة، بدأت باللين والمفاوضات ثم بالسكين والحجارة وبأحدث الأسلحة الفتاكة وتحملنا القتلى بالآلاف والجرحى بعشرات الآلاف، لقد خسرنا من القتلى والجرحى أيام الانتداب البريطاني 50 ألف قتيل وجريح علاوة عن آلاف البيوت التي هدمت وآلاف من السجناء وبعد النكبة زادت التضحيات الأعداد وتضاعفت وتبنت دولة الاحتلال صنيعتها بريطانيا ومارست المجازر وامتلأت السجون واغتالت وشوهت رؤساء بلدان الضفة الغربية بعد عام 1967.

حاولت بعدها فتح المجال للقاء سكان الضفة والقطاع مع عرب 1948 وتبين اسلوبهم وارتد كبدهم إلى نحورهم ووجدوا أن سكان عرب 1948 أشد حقداً عليهم من جميع أبناء فلسطين لما لمسوه من تمييز عنصري الممزوج بدمائهم وعقيدتهم وعادو واستخدموا العنف ومنع التجول وسد الطرق وضيقوا على الناس حياتهم.

ولم يكن شباب فلسطين خانعين لهذه التصرفات المقيتة بالرد بالقنابل والأحزمة النارية التي لم يألفوها كما زاد الإعلام الفلسطيني وكثرت الكتابات كما نهض الإعلاميون بنشر ما لديهم من أعمال فنانين من مهندسين رسامون ونحاتون لهم معارض محلية وإقليمية وعالمية أرقت قلوب الحاسدين وأثلجت صدور المعجبين وكانت اللوحات معبرة برسمها ونحتها وتلوينها إلى جانب ما أقدمه للقارئ من فن السينما والقصة والرواية والمسرحية وكيف ساهمت الثقافة الفلسطينية بالمقاومة وما أكثرها: الأفلام وما أنتجه السينمائيون والمسرحيون العرب بعد عام 1967 نحو صنع أفلام عن القضية الفلسطينية وكانت قبلها قد كتبت آلاف الكتب عن هذه القضية كما كتبت الموسوعات والمجلدات وقد حرضت المقاومة الفلسطينية والحراك الشعبي في فلسطين وخارجها وتركيزها واهتمامها على النشاط الإعلامي سواء الإذاعي منه والمطبوع، فإن السينما بقيت خارج النطاق وقد تشكلت عام 1968، نواة للسينما الفلسطينية تعمل ضمن إطار الثورة الفلسطينية وتشكلت الوحدة الفوتوغرافية من السينمائي مصطفى أبو علي الذي كان يعمل قبل ذلك مخرجاً في التلفزيون الأردني المصور السينمائي هاني جوهرية والمصورة التلفزيونية سلافه

وكان بحوزة هذه الوحدة كاميرا سينمائية قديمة ومواد خام للتصوير وبعد عام على قيام هذه الوحدة تم إنتاج فيلماً لأول مره (لا للحل الاستسلامي) والذي عرض في مظاهرات التي أقيمت في عمان ضد مشروع روجرز لحل القضية وفي عام 1972، اتحدت الفصائل الفلسطينية للمقاومة وشكلت تجمعاً للسينما سمته (جماعة السينما الفلسطينية).

وقد ركزت على صناعة السينما الفلسطينية وتأسيس أرشيف وتوزيع الأفلام المنتجة وكان أول باكورة أعمالها فيلم (مشاهد من الاحتلال في غزة)، إذ يتحدث الفيلم على الإرهاب الممارس بحق المواطنين الفلسطينيين في غزة ولكن مع الأسف لقد فشلت هذه المجموعة من النجاح لإهمال المسؤولين في القيادات هذا السلاح وعدم تحمسهم له.

وفي عام 1952 زاد عدد الأفلام الفلسطينية وكان عددها 50 فيلماً حاز بعضها على جوائز هامة في مهرجان السينما الدولي ومن البديهي القول إن الموضوعات الرئيسة لهذه الأفلام البارزة والتي وظفها المنتجون السينمائيون في أفلامهم الجديدة مثل (تل الزعتر) إخراج مصطفى أبو على عام 1977، وفيلم (عدوان صهيوني) لنفس المخرج عام 1973.

ثم فيلم الانتفاضة من إخراج رفيق النجار عام 1974 ومن التجارب الهامة في مسيرة السينما الفلسطينية تجربة فيلمي (يوم الأرض ووطن الأسلاك الشائكة) وهما الفيلمان اللذان يقدمان لأول مرة مادة من داخل الأرض المحتلة مصوراً خصيصاً من قبل سينمائيين مناضلين من أوروبا لتعذر دخول سينمائيين عرب في ظل الاحتلال.

هناك عوامل كثيرة أعاقت النشاط السينمائي الفلسطيني في الأرض المحتلة عام1948 منها عوامل اقتصادية وعوامل سياسية الى أن جاءت الأنباء بولادة أول تجربة سينمائية للمخرج الفلسطيني ميشيل خليفي وهو فيلم صور من ذكريات خصبة عام 1980 وأن عرض هذا الفيلم أثار ضجة في الأوساط السينمائية العالمية والفنان هو من مدينة الناصرة درس السينما في بروكسل (بلجيكا) وقد أقدم بعد تخرجه على مغامرة إخراج فيلم كإنتاج مشترك بين شركته الخاصة التي أسسها في بروكسل والتلفزيون البلجيكي ,وقد تم تصوير مشاهد هذا الفيلم وهو فيلم تسجيلي طويل في الأرض المحتلة عام 1948 وفي أراضي الضفة الغربية المحتلة عام 1967، وبالذات في الناصرة ورام الله نابلس وفي عام 1985 عاد ميتشيل خليقي من جديد إلى أرض فلسطين ليصدر فيلمه الوثائقي (معلول تحتفل بدمارها).

كما أستلم الشاعر إبراهيم طوفان إذاعة فلسطين بالشرق الأوسط وأعد هذا الشاعر برامج إذاعية متنوعة من روايات وقصص وأشعاركما أقام افرق تمثيلية تشرح الواقع الأليم لقضية فلسطين وتشحذ الهمم في صدور المتطوعين في ظل الانتداب الملعون.

وفي أم الفحم بالذات تم إنتاج فيلم (نداء الجذور) بمساعدة الجمعية الثقافية وتم التصوير بواسطة الكاميرا التلفزيونية ويتلخص الهدف الأساسي لهذا الفيلم في تفنيد المزاعم الصهيونية حول أن الشعب الفلسطيني ليس له تاريخ أو ثقافة ويؤكد المخرج على الإنتاج الحضاري للشعب الفلسطيني من خلال تصويره للآثار العربية والإسلامية في فلسطين المحتلة، لقد أصبحت أم الفحم مركزا ثقافيا لعام 1948 وفي عام 1960 تأسس فيها أول مجلس محلي برئاسة الشيخ توفيق عسليه وفي عام 1985 أصبحت مدينة يرأسها هاشم محاميد كما ويرأس بلديتها اليوم وللمرة الثانية الشيخ خالد إغباريه.

وتعرف الصورة النمطية لمدينة أم الفحم لدى الوسط الصهيوني بكونها المدينة العربية الأكثر تطرفا بسبب صمودها واحتفاظ اهلها بوطنيتهم وبغضهم الشديد للاحتلال الإسرائيلي لهذا تحاول سلطات العدو ضمها الى السلطة الوطنية الفلسطينية. ويقام فيها بالعادة مهرجان المسجد الأقصى في خطر ويحضره آلاف من العرب الفلسطينيين كل عام.

ولا تخلو المدينة من مكونات المدينة فهي تملك القاعدة الاقتصادية والتجارية كما وأنها تعيش تطورات هامة في المجالات التربوية والثقافية والرياضية الى جانب المؤسسات الخدماتية والصحية، لقد أصبحت أم الفحم والناصرة من أهم تجمعات عرب عام 1948 وإن الطفرة العلمية والتكنولوجية توظفان في حياة السكان وفي كل مجالاتها كما هو حاصل في دول الشتات إذ يعتبر أبناء الشعب الفلسطيني من أكثر شعوب العالم الثالث يبغي العلم والتعلم. ليعوض ما خسره من أرض وعقار ووطن، ويتحول إلى التجارة والصناعة وتوسيع معارفه واستخدام خبراته فهو يعيش التحدي المزمن والتحديات يخلقن الأعاجيب إننا نرى هذا الشعب الجبار يلملم طاقته ويسعى إلى أن يكون غصة في حلق الصهيونية يعكر حياتها وينخر جسدها حتى الموت.

ومن المسرحيات ما يثير الإعجاب حقاً وقد ظهر من كتاب المسرحيات عدد لا بأس به من الكتاب الفلسطينيين أقدمهم إميل حبيبي وفي مسرحية المأساة في (لكع بن لكع) إذ أصدر الروائي اللامع حكاية مسرحته سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948 حتى أواخر السبعينات مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد في ثلاثة فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن.

وقد نشطت المسرحيات وتطورت في قرى الجليل أهمها فرقة بلالين التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) ل ناظم حكمت وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياته وإخراجها ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين)، ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب 1973، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة.

وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، وفي 1975/4/28 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (وبلالين) ودبابيس وكشكول وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول 1973، وأتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميله وفوزي السكري وواصف ضاهر وايليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم والمسرحيات التي ل(بلالين)هي قطعة حياة والعتمة ونشرة احوال الجو والكنز تع تخرفك يا صاحبي.

ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التأليه:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة مثل (قطعة حياة) و(العتمة).

2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).

3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).

4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها ثم صيانتها من طمع الغرباء واغزاه (الكنز).

5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).

6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخيرات المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948 إذ قررت إنشاء جريدة المسرح أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدارس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحيا وقد أسست الفرقة أيضا مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة.

مراحل فئات الفنانين العرب الفلسطينيين

تنوعت الأبعاد التي اتصفت بها الصورة الانطباعية عن التراث الخاص بالمدينة الفلسطينية فيما كانت الأيقونة مدخل (غيرا غورسيا) إلى عالم القدس الذي تشبثت به الفنان في غربته. وأصبحت القدس بالنسبة الى الحسيني التي استمرت هاجس الفنانة في هجرتها وفي كان غيراغورسيا قد استنبط جوهر مضامينه من تجربته الروحية في أديرة القدس جاءت أعمال الحسيني تمثل السطح الخارجي للتشكيلات المعمارية التي حلمت بها الطفلة المبعدة وكان جسد الإنسان قد توسط ديناميكية الإنسان في أعمال غيراغوسيا بينما اتحاد الجسد الذي قلما ظهر في صور الحسيني شكل الدمى المتناثرة في فضاء البيت.

وإذا كانت اعمال غيراغورسيا محاكاة للمرئيات حتمية في مسيرة الفنان وكأنها صدى التطور الذي اتسم به تراث الرسم في الغرب المسيحي فإن دقة الإتقان وتألق اليد في أعمال الحسيني نتيجة طبيعية مستمدة من أبجدية التراث اللاتشخيصي في الفن الإسلامي، وهنالك عشرات الفنانين من عالجوا في رسوماتهم ولوحاتهم النحاتون منهم والرسامون.[1]

برغم كل الجمود والعقبات التي واجهت الفن الفلسطيني فقد أنتجت الفصائل وآخرون في الحراك 55 فيلماً و23 مسرحية حتى عام 1994، مهدت المنطقة ولادة بوادر فريدة لفن فلسطيني أصيل ذي طابع

مستقل وقد اتسمت طليعة الأعمال الفنية والتي أنتجت في هذه المنطقة بعلاقة وثيقة مع الأرض كانت علاماتها الأولى وقد تبلورت في نبرة الشعر الفلسطيني المعاصر. وربما تعتبر حفريات وليد أبو شقرا من أم الفحم في طليعة الأعمال الفلسطينية في هذه المرحلة التي تمثل الصورة الانطباعية للأرض الفلسطينية كما تعتبر الأعمال النحتية لعبد عابدي من حيفا أكثر، الأعمال الإبداعية التي التصقت عضويتها بطبيعة هذه الأرض.

كمال بلاطة قد أعجبني ما قرأته عن الفنان الفحماوي وليد أبو شقرا عن فنه الوطني والذي يستند الى ملاقاة الحجة بالحجة فهو سبق أن ولد أيام قيام إسرائيل وتفتحت عيناه وهو يرى جبروت الاحتلال وظلمه وعانى مع أسرته وجيرانه وأبناء قريته ظروف القهر والحرمان وكشف عندما اشتد عوده وأدرك أن الدعاية الكاذبة للعدو باتت مسلم بها فأطلقت ريشته تعبر عما في بيئته الطبيعية وما فيها من أسرار وما أكثرها إذ أنه استفاد من ممارساتهم في الرسم إذ كانت لوحاتهم تشير بأن أرض فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

ورأى التزييف والكذب في لوحاتهم وتابع ممارساتهم وسلوكهم في تحقيق أهدافهم لذلك كان هم فناننا العظيم كشف أكاذيبهم بلوحاته التي تبرز الآثار المادية التي تكذب الترهات واللعب بعقول البشر. وفي هذا السياق أقدم للقارئ مثالا واقعيا حصل مع دليل لسياح في قريتي اجزم قضاء حيفا وكان لي ابن عم يزورها في عام1968.

إذ سمع الدكتور ابن عمي الدليل يشرح للسياح ويقول إن هذا البناء هو بناء صليبي وكان قريبي يفقه اللغة الإنكليزية وتقدم الى الدليل قائلا هل كان الصليبيون يبنون المساجد؟ فبهت الدليل وقل ماذا تعني ورد عليه تعال واقرأ ما كتب على لوحة من الحجر المثبت على باب مدخل ركن الصلاة:

جمع البهاء بجامع جمعت به أنوار الله فادخل واحتسب وانظر انضرة روضة كم حوت من راكع يرجو الثواب ويرتقب مسعود شاد فأجزلن ثوابه أرخ صفاه بسر واسجد واقترب.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية ج5 محمود شريح

(2) الموسوعة الفلسطينية خاص ج5واصف أبو الشباب

(3) الموسوعة الحرة ويكيبيديا

(4) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير مروان الماضي

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية (السكن ووظيفته- العادات والتقاليد)

تتنوع البيوت بمواد البيئة المتاحة فيها فبيوت دمشق القديمة مبنية من خشب الحور المتوفر في بيئتها بينما سكان جبل العرب تبنى بيوتهم من الحجر الأسود البازلت والسقف يستند الحجر الطويل قليل السماكة أو على أعمد من الحجر أيضا أو على شكل عقود وإذا انعدم الحجر والخشب تبنى البيوت من الطين الممزوج بالتبن والقش بشكل مخروطي.

وقد تطورت الأبنية إذ يقال أن الإنسان "الإنسان ابن بيئته" وأن العوامل الطبيعية من أرض ومناخ وتربة وأشجار وصخور وغيرها ساعد البشر على اختيار بيوتهم ويختلف السكن باختلاف المواد المتوفرة في البيئة" لأخشاب يبنوا بيوتهم بحجر البناء أكثر من طابق بينما نرى بيوت قرى حماة الشمالية مبنية من الطين فقط على شكل مخروطي وقباب ما كانت منطقة كفر قاسم كلها واقعة في السهل والجبل تعج بالينابيع ومناخها مساعد للسكن فقد استثمر البشر هذه الميزة في بناء مساكنهم وأبدعوا في البناء لذلك نرى بيوت الناس في هذه البلدة تجلب النظر بحجارتها البيضاء الناصعة وإلى جانب السقوف الخشبية نرى السقوف المعقودة بشكل القبة وهي الأبنية القديمة والتي كانت شائعة قبل وجود الإسمنت والحديد.

وكانت البيوت تبنى بشكل عشوائي لا نظام لها والطرق ضيقة لا تسمح إلا لشخص أو ثلاثة أشخاص بالمرور فيها وذلك لأمور أمنية إذ يتعذر للغزاة دخول القرية بسهولة على خيولهم ويلاقي الفارس مقاومة لا يقدر عليها كما تساعد ملاصقة بيوت البلدة بشكل رائع بعد أن اختار أهل البلدة مجلس البلدية التي بدأت وتقوم على تقديم البنية الأساسية للبلدة من تنظيم للأبنية وبناء الطرق المعبدة والشوارع المنظمة والساحات العامة ومد شبكات الكهرباء والماء إلى البيوت والحفاظ على الأحراش وتقديم الخدمات لسكان البلدة واشرافها على التعليم والمواصلات والأمن والعمل على مشاريع تحسينية لصالح أهل البلد.

لقد أسس مجلسها المحلي عام 1959 ويشغل منصب المجلس السيد إبراهيم صرصور ويتكون المجلس من 11 مقعداً بالإضافة الى مقعد الرئيس موزعة بين سبع قوائم انتخابية وهي الحركة الإسلامية وقائمة النهضة، البناءة الإعمار ولكل واحدة منها مقعدان ثم قائمة النور، المستقبل، الازدهار، السلام، والهدف، وكل واحدة ممثلة بواحد.

أما الرئيس الحالي للبلدية فهو المحامي عادل بدير. وتتوفر بالبلدة الخدمات الأساسية مثل شبكة الكهرباء والمياه ومصلحة الهاتف أ والتي وصلت الى البلدة عام مثل شبكة الماء وصلتها عام 1959 والكهرباء عام 1962 والهاتف بدئ بإيصاله الى البيوت عام 1965 وعلى المستويات الصحية تعمل تسع عيادات واحدة لصندوق المرضى وأخرى لرعاية الأمومة والطفولة واثنتان لطب الإسنان (خاصة) وأربع عيادات طب عام خاصة بالإضافة الى مركز طبي للحكمة الإسلامية.[14]

يؤمن أهل البلد بالعقد الاجتماعي الممثل بالأسرة ثم الحمولة ويؤمنون أيضا برواسب العصبية وايمانهم بالوحدات المتدرجة يعبر عن روابط العصبية القبلية (أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب) وأن أولى حلقات الوحدة الاجتماعي في نظرهم هي العائلة، إذ أن القيم الاجتماعية لتبجل العائلة وليست الانتماء اليها فمنهم من يقول في تبجيل العائلة أنه (ابن عائلة) الشخص الذي لا ينتمي إلى عائلة يقولون أنه مقطوع من شجرة وإذا قالوا (ابن عائلة)، فذلك يعني في عرفهم أنه من أصل طيب كريم وأحياناً يقولون ابن حمولة أي أن المنتمي إلى حمولة يكون من شجرة لها أصل وجذع وفروع أفرادها يشعرون بالوحدة والتماسك والتضامن، ويسعى الشباب إلى الزواج من بنت الأصل، لأن المرأة الأصيلة كالفرس الأصيلة والبنت الأصيلة شرطها أن تكون (معممة ومخولة) أي يكون كل من عمها وخالها من أصل طيب.

وقد درج أبناء القرى في فلسطين على تبادل الزواج بأن يتزوج الشاب من قريبته ويزوج أخته لأخ زوجته، ومن العادات الغير المرغوب فيها حقا كانت المنازعات بين العائلات ويتطور هذا النزاع إلى عراك بينهما بالعصي والحجارة والسكاكين أحياناً وما أكثرها، طبعاً لقد انحسرت هذه الظاهرة بعد تقدم العلم ولجوء الناس في هذه الأيام إلى حل مشاكلهم بالحسنى دون عنف.

لقد شجع الانتداب البريطاني هذه العادات القبيحة واستغلها بشكل وحشي في سياسته فرق تسد وكان همه الهاء أهل فلسطين في مشاكل تبعدهم في الصراع مع الصهيونية مثلما تعمل الدول الكبرى الآن في المشكلة السورية والعراقية والخليجية في ممارساتهم المنافقة ومؤتمراتهم الكاذبة.

المأكولات والمشروبات

كان هناك اكتفاء ذاتي لسكان بلدة كفر قاسم لوجود الأغنام والأبقار والماعز ومشتقات الألبان إلى جانب توافر جميع أنواع الحبوب من قمح وشعير وذرة وعدس وجميع أنواع البقول وبشكل خاص الحمص والفول والخضار بكل أشكالها ولم يكن الفلاح بحاجة إلا للسكر الأرز والقهوة والشاي.

وأهم المأكولات الشائعة عند الناس في البلد هي: العصيدة– الكبة– الثريد –المجدرة المنسف لحم مع الأرز واللبن مقلوبة الباذنجان– أو مقلوبة القرنبيط– الملوخية– خبيزة– بامية – منزلة – زيت مع الزعتر– رشتاي – معكرونة – هندباء ..الخ

ومن الحلويات هي: قطايف بالجبن –قطايف بالجوز–العصيدة – الزلابية– الهريسة– البقلاوة – الرز مع الحليب– الرب مع الطحين– الدبس مع الطحين والسمسم– الخبيصة – العوامة أو لقمة القاضي– قمر الدين– ودبس العنب– ودبس الخروب– ودبس التمر– ثم الحلاوة والعسل.[15]

وأهم المشروبات: الحليب – الشاي– القهوة– البابونج– شراب الخروب والسوس أما في الوقت الحاضر فقد شاعت المشروبات الوافدة من الخارج مثل الكولا– وعصير الفواكه مثل التفاح والموز والليمون والحليب –– والسوس...الخ.

بعض الأدوات المستعملة في بيوت البلد تستخدم بعض الأدوات والأشاء ولها أسماء معينة عند أصحابها مثل:

الخوابي (جمع خابية) وهي مخزن للحبوب تبنى أمام حيطان بيت المونة أو الزريبة ولها فتحة أسفلها تغلف بسدادة ويبقى سقفها مفتوحاً لتملأ ثانية بالحبوب أو العلف.

الطناجر: وهي بأنواع كثيرة منها النحاسية والألومنيوم ومعادن أخرى.

الدست: وهو وعاء كبير الحجم من النحاس يستوعب 500 لتر من السوائل يوضع على النار لسلق القمح ليصير برغلً أو يغلى فيه سائل.

البندورة: ليصير رب البندورة أو عصير الخروب ليصير(الرب) ويستعمل في الطبخ للولائم في الطعام.

المعتقدات: يعتقد كل فلسطيني بإن الطعام قسمة ونصيب وأن المرء يأكل يلي ما قسم الله له، لذلك هناك أقوال مأثورة عديدة بهذا الصدد.

"اعزم و الزم والأكل نصيب" وأحياناً يتأخر شخص على العزومة فيأكل شخص آخر طعامه غير مدعو في الأكل فيقولون "ما حدش يوكل نصيب حدا". وإذا قيل للمدعو لأحثه على الاستزادة "أكلت الي فيه النصيب". والأمثلة كثيرة عن الأكل مثل:

- يلعن الشارب قبل الطالب (أدب الانتظار).
- غُب غُب الجمال وقوم بأول الرجال.

- أطعم الفم تستحي العين.
- إن غاب عنك السمن عليك بالزيت (القناعة بالموجود).
- الله بيطعم الحمص للي مالوش أسنان.
- طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية.
- اللي بدو يوكل عسل يصبر على قرص النحل.
- اللي عنده قمح يقرضوه طحين.[16]

وفي حفظ الطعام استخدم الفلاح: الخزانة ذات الأبواب الملبسة بالمنخل حيث يدخلها الهواء فيبقى الطعام ليوم أو اثنين بعيداً عن الحشرات والذباب. أو توضع اللحوم والطبخات في أواني مفتوحة وتوضع في وعاء من القش مدلاة بحبل بعيداً في الهواء الطلق ولا تفسد شرط أن تكون في الظل.

وأحياناً يكون الليمون والبرتقال نادراً في الصيف لذلك يلجؤون لحفظ الليمون خاصة ويطمرونه في رمال رطبة وكلما احتاجوا إليها يخرجونها من بين الرمال ويستخدمونها في العصير على الطعام وربما تبقى في الرمل شهراً أو شهرين.

لقد اعتاد سكان القرية تناول طعامهم على طبق من القش يلتف أعضاء الأسرة حوله جلوساً إذ يتناولون الوجبة بكل راحة وسعادة ثم تحول الطبق إلى طاولة قصيرة الأرجل وتلتف أفراد الأسرة وهم جلوس على الأرض ويتناولون الوجبة بحرية وببساطة وتدعى بالطبلية.

وقد تحول الطبق الطبلية (الطاولة السابقة) إلى طاولة كبيرة أرجلها طويلة. وحولها تصطف الكراسي ويجلس الآكلون على الكراسي ويتناولون طعامهم بكل فخر واعتزاز وهذا هو عصر الجيل الجديد الحالي.

أما تموين الغذاء للأسرة فإن الفلاح يسعى لتأمينها في الشتاء حتى لا تجوع اسرته حين ينتهي مواسم الزرع والحصاد، وأهم مخزونات المؤونة السنوية (القطين–وهو التين المجفف–الزيتون حب وسائل–المخللات ورب البندورة ورب الخروب–والمربيات (مربى التفاح والمشمش والعنب والسفرجل والألبان والأجبان والسمن ثم مؤونة القمح وأحياناً مؤونة الكلس ويضعونها في التون عند المحاجر ثم الفحم.

الحسب والنسب: يؤمن الفلسطيني دائماً بالعقد الاجتماعي ومفهوم هذا العقد شبيه بمفهوم العقد الاجتماعي الذي تأسس في دولة الإسلام الأولى في يثرب، إذ أفاق الإسلام على أمة موحدة فوق القبائل ولم يلغ الرابطة القبلية مع أن عقل قوة العصبية القبلية يفسد على الأمة وحدتها.

والفلسطيني يؤمن بالحمولة، ولكنه يؤمن بالقرية وعصبتها الموحدة وكذلك بائتمانه إلى أمة العرب ولم يفكر أي فلسطيني بعد زوال الدولة العثمانية أن يطالب بدولة فلسطينية ولحد الأن يكره الإقليمية وكل همة في وحدة العرب لأن وحدتهم هي قوتهم وعزتهم تحفظ حدودهم وخيراتهم وثقافاتهم وتعزز حاضرهم. بما فيهم ومما يحز بالنفس أساسا ولوعة أن جماهير العرب في العقد الخامس من القرن العشرين هي نفسها أوضاع العرب الحاليين في القرن الواحد والعشرين إن كانت أسوأ حقا بسبب تعزيز كراسي حكامها في دولها القطرية المقيتة إذ كلما ازداد عددها ازدادوا فقراً واضمحلت طموحات أبنائها لما تراه من انطواء قادتها تحت أوامر أسيادهم الذين يعملون ليل نهار في تفكيك هذه الدول والسعي لتقسيمها وتقسيم المقسم. إن الثورات العربية الحديثة أراها تتداعى في تحقيق أهدافها إذا اعتمدت على الأجانب في مساعدتها في تغيير حالها البائسة وقد تحولت الثورات الى هدم بيوتهم وثرواتهم بأيديهم دون دراسة ودراية وإعداد كل ما يلزم للنجاح.

ومن الأشراف طبقات في المجتمع الفلسطيني التقليدي التي كان لها شأن كبير فيما مضى طبقة الأشراف التي تدعي الى أصول عربية أصيلة تتصل بآل البيت أو بصحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار ومواليهم منهم آل الكيلاني المنتسبون الى الحسين بن علي وهم في يعبد ونابلس وسيلة الحارثية وشيوخ المساعيد في غور الفارغة ومن المنسوبين الى الحسين بن علي آل الشرفا في قرية بيتا قضاء نابلس وآل البسطامي في نابلس وآل مريش في الخليل ونابلس ومن الجعافرة آل الحنبلي ومن آل عباس بن عبد المطلب ومن الأشراف في فلسطين أيضا من يسمون أشراف السيف وهم أمراء وشيوخ ويميز هؤلاء عن الشعب بلباسهم الثياب الجديدة وبإحاطتهم بالخدم والأتباع وكل ما يميزهم عن غيرهم العتاد والخيل وسواس الخيل ويأنف هؤلاء الحرف والمهن إذ أن هذه حرف يدوية خالصة ولهذه النزعة ما يقابلها لدى نبلاء الإقطاع في أوروبا في القرون الوسطى زمن أشهر العائلات التي نالت شرف السيف آل ماضي قضاء حيفا ومقرهم بلدة اجزم وآل شبل شيوخ عكا ومركزهم في شفا وآل عمرو في دورا الخليل.

(17) الموسوعة الفلسطينية مج2 خاص ص234 عبد الكريم رافق.

والديوان هو مقر تجمع زعيم العائلة في البلد أو الحي وهو عبارة عن بناء واسع يسمح لعدد كبير من الزوار والضيوف يحاط بالفرش والمساند يتوسطه وعاء معدني فيه أباريق القهوة يدعى (منفل) وبقربه

صينية فيها فناجين القهوة تقدم للضيوف. وتعقد جلسات في العقد يتناول فيها الحاضرون شؤون العائلة أو أوضاع أسرها وبحث المستجدات وقد لعبت الدواوين دوراً بارزاً في الحركات الوطنية الفلسطينية بالتخطيط ومقاومة الاحتلال ومساعدة الثوار بالمال والمقاتلين، وكان للديوان نشاطات أخرى مثل دراسة شؤون الأراضي والغلات الزراعية وتسويقها وإعداد الأراضي لحراثتها ثم زرعها وتموينها كما يلعبون العاباً مسلية مثل لعبة الطاولة أو لعبة الضاما و البرسيس والشدة بأنواعها. وينفق المسؤول عن الديوان كل النفقات من جيبه أو من تبرعات زملائه وأقاربه وهناك الكثير من الداواوين في القرية الواحدة أهمها ديوان المختار حيث يأُمه كافة أهل البلدة والأغراب من الضيوف وقد تبدلت الدواوين في الوقت الحاضر إلى المقاهي والنوادي والقاعات ولم يعد للديوان تلك الأهمية الماضية مع أن المهاجرين من الفلسطينيين يحافظون حتى اليوم على إقامة دواوينهم الخاصة في الأردن إما باسم العائلة أو باسم بلدهم في فلسطين، وقد أخذت المجالس المحلية مهمة الديوان في الوقت الحاضر وصارت البلدية ومرافقها تلعب الدور الأول بإدارة شؤون البلدة أو المدينة وتطوير نشاطاتها في تنظيم البناء وادخال شبكات الماء والكهرباء والهاتف والشوارع وبناء المؤسسات اللازمة.

المراجع والمستندات:

(1) : الموسوعة الفلسطينية

(2) : الموسوعة الفلسطينية

(3) : الموسوعة الفلسطينية ج1 ص132 عادل عبد السلام

(4) : النباتات الطبية في بلاد الشام أحمد عويدات

(5) : الطيور والحيوانات في بلاد الشام وصفي زكريا

(6) : الموسوعة الحرة ويكبيديا.

(7) : العرب واليهود في التاريخ أحمد سوسة العراقي

(8) : الموسوعة الفلسطينية ج2 ص 196 عبد الكريم رافق

(9) : بلادنا فلسطين ج7 ق2 ص 256 مصطفى الدباغ

(10) : المركز الإحصائي العربي في يافا

(11) : الموسوعة الحرة وكيبيديا

(12) : الفولكلور الفلسطيني ج2 ص 118 نمر سرحان

(13) : خبرات شخصية تعلمتها وعملت بها مروان الماضي

(14) : الموسوعة الحرة ويكبيديا

(15) : الفولكلور الفلسطيني ج2 نمر سرحان

(16): الموسوعة الفلسطينية ج4 ص669 فكتور سحاب

الفصل السابع

الأفراح والأتراح

الأفراح

الأعراس في بلدة إكسال: يرافقها من سلوكيات مختلفة بعض الشيء، تقوم أسرة العريس بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بجانب العريس ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم مؤجل عند المسلمين) يذهب ثلة من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً من أهل العروس بطلب لزواج وما يلازمها من خطوات تبدأ بالخطبة يتجلى بعادات وتقاليد الناس في البلد.

الخطبة: من المتعارف عليه أنا أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم يرَ العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية.

وفي بعض الأحيان يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم ثم تقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها، وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة بينما تطورت الخطبة هذه الأيام الى محاضرة تشيد وتميد بخصائل العائلة والمجتمع ويكون الحديث مملأ حقاً كما وجدته في عمان مثلاً بينما قرأت سيرة خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم: إذ خطب أبو طالب عم الرسول خديجة من أبيها بقوله "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعلنا الحكام على الناس, ثم إن ابن أخي محمدا من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً وأمانة وله في خديجة بنت خويلد رغبه ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلي".

ويتم العطاء وتقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً عندها تسمع النساء الموافقة تأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات ويقدم الشراب ومن الأغنيات التي تقال:

ع الزنزلخت ع الزنزلخت ريتك يا حلوه من حظي وبختي

بدك أبادلك ببادل بختـي بدك مصاري بدفع مليونـــــا

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

على دلعونا يا مدلعنية وصاروا يطلبوا في البنت مية

صـــاح العزابي يابيي منللى مصاري أجيب المزيونة

التحضير للزواج: يدفع الشاب مهر عروسه حيث الاتفاق ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره وكثيرا كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب، وقبل حفل الزواج تنقل أغراض العروس الى بيت العريس بواسطة النسوة إذ يحملنها وهي موضوعة بصناديق وصواني وأطباق وبقج وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.

حفلات الزواج: تقام السهرات ويقال لها التعليلة وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة الألبسة والحناء والزينة كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات) ويتدربون على الأغاني والدبكات.

ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل الى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا وغالباً ما تكون ذبائح أغنامهم وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس.

ينهمك أهل العريس وأقربائهم في استقبال الضيوف واعداد الطعام من ذبح الخرفان وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء وعند العصر، تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف، ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس وفي كثير من الحالات تحل مشاكل توثيق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها الى بيت عريسها أغنيات بقولهن:

يا محمرة يا مبـــودرة وألفين حق الكنـــدرة

حلفت يا فلانه مابطلع إلا الحامولة حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عبس عنتر عبس عريسنا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا

عريســـنا ابن الكرام ابن الكرام عريســـنا

واللي يعادينا نذبحه ونقطعه بســـــيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة ويحلى صدر الحصان بالرداء المزخرف ويجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره وكذلك الحال حصان العروس، ومن الزغاريد التي تحي رب الأسرة وتمجده تشير إلى مكانته وعلى غرار التقاليد العربية (المهاهاة التالية):

إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينـا

إيه ويها ولا تشـمت بنا شـــــــــامت

إيه ويها حنا ان رحلنا جعلنـــــاك الدلو

إيه ويها وحنا ان نزلنا جعلنا بيتك الغالي

العتابا: تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية وتستخدم الفخر والمديح وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية والتي حفلت بها الأغاني، وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضيـن بقلبي ناصبات جراح ماضين

كشف جرحي الطبيب وقال ما ظن ما ظني يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المايل والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

يا طولك طول عود الزان لو مال يا شعرك حيَر الجدال لو مال

وبوكي لا قبل فضة ولا مـــــال أكيف الرأي عندك والجـــواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة وكل منها معانيه ولحنه منها:

زريف الطول ودلعونا: ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبأ وقوع الصاعقة فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك يللي رابي بدلال أمك وابـــــوك

يومن جانا الخبر أنهم خطبـــــــوك شعر رأسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونـــا نسم يا هوا الغربي الحنونا

بالله إن متت ياما اقبروني بأرض بلادي بفيءِ الزيتونا

الغزيل: وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة بينما تختلف قافية الشطر الرابع وتنتهي بالمقطع (يا) وهذا ناتج عن عبارة.

أهلاً يا غزيل يا بو الهيبا يا غادي يا معذبـا

زرتونا و شرفتونـــــــا أهلاً وسهلاً ومرحبا

وفي الأعراس تقام الدبكات والسحجات ويأتي الحداؤون (الشعراء)، ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم الافتخار والغزل وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم والقيم.

وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول ويتباريان الأقوال الموزونة بمواقف حيوية معينة على سبيل المثال يتناول الشعر السمرة والبيض وينتصر البعض لأي فريق، وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل، وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين. ومن هذه الأغاني:

قالت البيضا اسم الله علينا يا ورد مفتح حوالينـــــــا

يللي ســـافرتو عودوا الينا لا تطيلوا لجفا تزيد الهموما

السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايـــس واحنا المحارم بيد العرايـس

روحي يا بيضا يا لبن مايص واللي بيهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ميخذ السمرا ويش بدك فيها يا رمل البحر تنو يجليها

في البير الخارب والله ارميهـا واحكم عليها حكم فرعونا

أبو الزلف: هي أغاني الدبكة تلتزم هذه الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عا لعين يا بو الزلف عين الزلف ليـــا

قلبي جريح الهـــــوا وإنتي الدوا ليـــــا

جفرا ويا هالربـــــع عالبير نشـــــالي

وازنرا بالطقـــــــم فوق للطقم شـالي

ولادة المرأة: عندما تلد المرأة تخرج القابلة لإعلان النبأ فإن كان المولود ذكراً تعبر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامـــــت إيه ويها وع فراشـها ما نامـــت

إيه ويها ولك الحمد يا رب إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر إيه ويها عيـــش وأكبر يا ذكر

إيه ويها يا عطية ربنـــــــا إيه ويها ومانال إلا اللي صير

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود اذكر أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

إيه ويها وقفت حمامتنـــــــا إيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي إلا بســـلامة حبيبتنا

تنويم الطفل: تحاول الام هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحةن وتأخذ بالغناء ويدعى هدهدة:

نامت عيونـك وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة على مخلوق ودامـت

ويقولون أيضاً:

هللي له يا حمامة هللـــــي له تينـــام

وافرشـيله الأخضر والوساید وريش النعام

ترقيص الطفل: وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافق الأغنية، كالتالي:

ميمته ياميمتـــــه ياربي تخليـــــــــه

وتخليه لمويمتـــه وتكحللهه عينيـــــه

وإن شاء الله بيكبر وبيحميي هالشـــياب

ويحمل على جنبه سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان: وهي متنوعة وليست هناك أغنية متخصصة فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغان عامة غير أن هناك أغاني بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا ياشلبي وناولو لأمـــه يا دموعوا لغالية نزلت ع كمو

ومطهريا مطهر امسح بالشفرة لا توجعلي رياض ابن الإمـرا

اللعب مع الغناء: تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل وعندما يصبح الطفل قادر على ففهم ما يقوم به يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب منها مثلاً:

يا منيمسه يا منيمسه يا حبة القريمـــشة

بعثتني معلمتـــــي اشتري راس البصل

وقع مني وانكســـر بـــــــــــوق بـــــــوق

يا أم الحلق والدبوس قيمي إيدك يا مليحا يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي إذ يحمل الأب طفله على ظهره تقوم الأم بينما تلف الأم ياه حول رقبة الأب فيقول الأب:

أنو فوقـــــي ويرد الطفل عبد الطوقي

الأب شو بدو يرد الطفل حمص مقلي

وينزل الأب طفله قائلاً طيح نقي.

أغاني الشتاء: يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياس من الخيش القنب) لتقيهم من المطر ويقولون:

شتي يا دنيا شـتي على صلعة ســتي

ستي جابت صبي ســـمته عبد النبي

حطته بالطنـــجرة طلع صحن مجدرة

حطته بالبيـــــر طلع رأســـه كبير

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتـــــي وزيدي بيتنـــــا حديدي
عمنـــا عبد الله كســـــر الجرة
شـــــتي وزيدي على طريق سيدي
ســيدي بالمغاره ذبح قطـــة وفارة
سيدي في البرية بيطبخ لبنيـــــة

وهناك تغنى بالأعياد:

بكرة العيـد بنعيد بنذبح بقرة الســـيد
والسيد ما لو بقرة بنذبح بنته ها الشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

ياطيور طـــــــــايرة يا مراكب ســـايرة
ســـــلمي ع أمي وأبي وقولي جبينة راعية
ترعى غنم ترعى سخول وتقيل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف)، ومن الأغاني التي يرددها الأطفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار بعـــده التين ما نور
ما نور إلا الزيتون يازيتون احمل ليمون

ومن الألعاب التي ترافق الأغاني:

طاق طاق طاقية رن رن يا جرس حول واركب عل فرس

لعبة الدائرة مع القفز: تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا مثل عمود الهوا
وحدة كبيـــــرة وحدة صغيـــرة

وحدة طويلـــــة وحدة قصيـــرة

وحـــــدة بترجـــــع لـــــورا

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكور والإناث :

لعب البنات: لعبة الإكس(الحيز)، الزقطة (القال)، الغماية (الطميمة)، الخويتمة (الخاتم والأصبع) نط الحبل لعبة الخمسات.

لعب الذكور: كسر البيض – البنانير (الدحل) لعبة الكورة – لعبة المنه لعبة الغزة توضع عصاة متين في ثقب حجر ويتبادل الأولاد بضربها كل بعصاه والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز– لعبة كرة القدم وسباق الركض والسحاسيل.

الصيد: كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد حتى كان منهم يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل: النقيفة أو بالفخ –بالدبق بالشبك– بالفخاخ– وجمع الفراخ من أعشاشها)، وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية ويطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.

الأتراح

أما الأتراح: تشمل الموت والجنازات إذ يقمن النسوة في أغلب قرى فلسطين بالندب والعويل والصراخ وتمزيق الشعر والثياب ويختلف الحزن بين الصغار والكبار في العمر وينال الشباب حزن الجميع في القرية وبشكل خاص الشهداء وما أكثرهم بين شعبنا المنكوب كما تقام الأتراح في النكبات وهدم البيوت والحرائق ثم الحوادث الطبيعية من زلازل وفيضانات وسيول تأخذ الكثير من مخيمات اللاجئين وما أكثرهم عند شعبنا المعاصر وتقيل التعازي في العادة بالساحات العامة وقعات المساجد عند المسلمين وفي الكنائس عند المسيحيين وفي قاعات خاصة بالأجرة وهناك قاعات للجمعيات والنقابات المهنية يمكن الإفادة منها في هذا الصدد يقدم للمعزين القهوة المرة وفي كثير من الأحيان يعزز العزاء بحضور مقرئين للقرآن.

المراجع والمستندات:

كل المراجع في هذا الفصل أغلبها اعتمدت عليها من : خبراتي الشخصية:

الموسوعة الفلسطينية ج4 فكتور سحاب ص450

كتب نمر سرحان 1–2–3

الفصل الثامن

المجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم والتقت دعوتهم مع مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 الذي ينص منح الصهاينة وطن قومي لهم في فلسطين بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدسا لدى السلطة البريطانية وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابهه بقسوة ظالمة وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948 أي ثلاثة عقود أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم ...الخ) إلى جاب الهجرة الصهيونية التي تم في عهد انتدابها إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000 نسمة.

كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها وتعد بآلاف والسجون والمعتقلات والتشريد وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين.

1) **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواسة** بتاريخ 31-12-1947: أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم في داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب ووصل الخبر إلى العمال في الداخل ثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حواسة وبلد الشيخ

هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً فرموها بالقنابل اليدوي وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً وأحرقوا عشرة بيوت .

2) **مذبحة قرية سعسع قضاء صفد** في 14-2-1948: شنت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها وأسفر الهجوم عن 60 نسمة معظمهم من النساء والأطفال وقدتماها العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3) **مذبحة رحوفوت قرب الرملة** بتاريخ 27-2-1948: حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحبوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4) **مذبحة الحسينية** في 13-3-1948: قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

5) **مذبحة بنيا ميناه** في 27-5-1948: لقد حدث في هذا الموقع مذبحتان حيث نسف قطاران أولهما تم في 27-5-1948 وأسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين وتمت العملية الثانية في 31-5-1948 حيث استشهد أكثر من 40 عربيا وجرح 60 آخرون.

6) **مذبحة دير ياسين** في 9-4-1948: مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما الأرغون والتي يرأسها مناجيم بيجن رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاما وتم الهجوم باتفاق كسبق مع منظمة الهاجاناه وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية معظمهم مدنيين عزل، وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دوليا وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

7) **مذبحة الطنطورة** في 22-5-1948: هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الاكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي

يهودي بتقديم رسالته والتي خصها في المذبحة وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

8) **مذبحة قرية الدوايمة** في 29-10-1948: هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشي ديان قرية الدوايمة في منصف الليل وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب، وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان ونسفوا بيت المختار، وقد لجأ بعض المسنين الى مسجد القرية واحتموا فيه وقتل منهم 75 رجلا كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعا بالقنابل والرشاشات، وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب وقد جرى اقتناصهم وقتلهم كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة حداشوت الإسرائيلية تحقيقاً عنها، وقد أقام الصهاينة مستعمرة " أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.

9) **مذبحة يازور قرب يافا** في كانون أول عام 1948: تقع القرية على مفترق طرق تعرضت القوافل الصهيونية الى عنف المقاومة العربية كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة، فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً الى قائد البالماخ بيجان آلون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22 كانون الثاني/يناير 1949 أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة وتولى إسحق رابين عمليات الملباخ فهاجم القرية فجر ذلك اليوم فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني منها مصنع الثلج وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام، وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10) مذبحة شرفات في 7-2-1951: في الثالثة من صبيحة يوم 7-2-1951 وصلت سيارات قادمة من القدس وعلى ثلاثة كيلو مترت ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة واحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانه ونسفوها بمن فيها وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى وثلاث نساء وخمسة طفال وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11) **مذبحة بيت لحم** في 26-1-1952: وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح الطوائف الشرقية قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية فقتل صاحب المنزل وزوجته، وطفلان وجرح طفلان آخران من العائلة.

12) مذبحة قرية قلمة في 29-1-1953: هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها وخلفت تسعة شهداء مدنيين الى جانب عشرين جريحاً.

13) مذبحة قلقيلية في 28-8-1953: حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء لأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية حتى أن موشي ديان صرح بقوله " سأحرث قلقيلية حرثاً" وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953 تسللت الى قلقيلية مفرزة الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف وزرعت بعض الألغام في الطرق في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة، وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة، لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته , وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات واحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله وقد استغل العدو هذه الظاهرة فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها وتقدمت آليات العدو البى مركز الشرطة واحتلوه ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت وقتل كل من يصادفهم في الطريق وكان حصيلة المذبحة الغير متكافئة قرابة سبعين شهيدا من سكان القرية وما حولها الى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيت أهل البلدة وما أكثرها .لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني والقريبة من القرية واصطدمت بأ لغام العدو التي زرعها في الطريق فتكبد بعض الخسائر وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.

14) **مذبحة قيبية** في 15-1-1953: في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية والتي يرأسها "آريل شارون" ونائبه شالوم والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956 وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953 بلغت ذروتها في مذبحة "قيبية" القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية، وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء إنتقامي لمقتل امرأة يهودية مع طفلها كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية إلا أن مجلس الأمن الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لابد من الانتقام واسفرت مذبحة قيبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل ونسف 41 بيتاً ومسجد وخزان مياه القرية، وقد أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً.

وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية فضلاً عن حقوق الإنسان ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15) **مذبحة دير أيوب** في 29-5-1954: في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثاني عشرة، وعند وصولهم إلى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة فاجأهم بعض الجنود الصهاينة وهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذها وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى.

أسرع أهل الطفلتين الى المكان المذكور، وشاهدوا نحو إثني عشر جنديا يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نقلت اليه.

16)**مذبحة نحالين** في 29-5- 1954: قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 من اجتياز خط الهدنة وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

17) **مذبحة كفر قاسم** في 1956/10/29: وعشية العدوان الثلاثي على مصر تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية، وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة الى الساعة الخامسة مسأء وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه خاصة أولئك الذين يعملون خارجها وهو ما نبه اليه مختار القرية حينها الى قائد القوة الإسرائيلية، كما تلقى شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية بقوله: (الأفضل أن يكون هناك قتل لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف) وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة شالوم فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين ولقي مصرعه، كما قتلت مجموعة منهم 2 امرأة كن عائدات من جمع الزيتون وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي، وعلى ساعة ونصف الساعة سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال شلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين إلى أن اضطرت لإصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام، وتغطية على الجريمة أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهما على رأسهم العقيد شدمي واسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موشي حاييم بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات وحظي الباقي بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً حيث أصدر إسحق تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم، بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم وهم اليهود الشرقيين.

المراجع

- فلسطين بالذاكرة
- كل المجازر الواردة, مصدرها (الذاكرة الفلسطينية إنترنيت)

الفصل التاسع

سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل"

سياسة الانتداب البريطاني والصهيوني في شعب فلسطين منذ أن وطئت بريطانيا فلسطين و احتلتها عام 1948 عملت على تنفيذ وعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود بكل يلزم من تيسير الهجرة وسلخ أراضي وتشجيع المؤسسات من مدارس وجمعيات ونوادي وطرق ومواصلات ومرافق من موانئ بحرية ومطارات ومعسكرات وكبح لأصوات المعارضة من اعتقال وإعدامات لشعب فلسطين ,وبقيت بريطانيا ثلاثين عاماً سنة 1938 وقد أمنت للصهيونية دولة قائمة على طبق من ذهب تاركة شعب فلسطين يأن تحت احتلال "إسرائيل" وزادت الإمبريالي الأمريكية من تقوية الصهيونية حتى باتت السلطات الصهيونية تهدد العرب والمسلمين في عقر ديارهم وساعدتهم في التمادي على حكام العرب أجمعين ومن الممارسات التي واجهها الفلسطينيون والعرب من بريطانيا و"إسرائيل".

في الزراعة

أرض فلسطين في خصبة تربتها ومناخها المعتدل من حرارة ومطر وأودية دائمة وسيلية وينابيع دائمة وخبرة قديمة متطورة كلها جعلت فلسطين غنية بزراعتها والكل يعلم بهذه الشهرة والغنى من قديم الزمان ذلك كانت محط أنظار الطامعين من جوار وأغراب مرت بها القوافل العالمية وداستها الجيوش الغازية وتقلبت فيها السلطات والعروش طرحت بأسواقه بضائع الأمم والشعوب من توابل هندية وكتان وقطن وسكر مصري وبن يمني ونسيج دمشقي وصباغة فنيقية وزجاج فخار نحاس كنعاني حديد فلسطيني سيوف شامية بأشكالها وأنواعها ونماذج ومجسمات منحوتة في الخشب والحجر والرخام والعظم إلى جانب القنب والأرز والحبوب والبقول بأنواعها.

كانت التجارة نشيطة بين الأقاليم والقوافل تسعى بين أقطارها السفن تمخر البحار محملة بكل البضائع الخيرة والمؤن تعين المغيث وتسد أفواه الجائعين وتطفي السعادة على جه المحرومين تبعث الأمل في قلوب القانتين ولا زالت الفنون وقوالبها تتمتع بها منطقة القدس ورام الله وبيت لحم من حفر على خشب الزيتون لصنع نماذج متعددة وأشكال متنوعة من ترصيع الخزف بالخشب، وما تنتجه الإناث في رام الله ومحيطها من أشغال غاية في الجمال من حياكة وشغل الإبرة في تطريز الثياب والتي نالت إعجاب نساء الغرب قبل إناث العرب وخلقت أسواقاً رائجة للفنانين وما أكثرهم تعوض ما سلبه العدو من أهل فلسطين وباتت هذه الصناعة وصدر رزق لأكثر المواطنين تحت الاحتلال هذا كان وضع أطماع

الغزاة الطامعين ومما زاد مقامها العالمي ظهور الأديان السماوية فيها بركنها المقدس مدينة القدس الشريف، مدينة السلام والمحبة والإخاء المؤمنة برب العالمين رب السماوات والأرض أجمعين لخلق الناس التي لا تعرف التعصب والتمييز الكراهية التي لاتقوم على الغدر مثل الدولة المنتدبة عملت خلال الثلاثين عاماً في حكمها لفلسطين على تحقيق هدفها مقاومة كل المعارضة لهذا الهدف من قتل إعدامات سجون نفي لكل النشطاء من أبناء فلسطين بينما ساعدت الهجرة الصهيونية شجعتها ودعمتها قدمت للصهاينة وعصاباتهم الدعم العسكري والحماية والتدريب المستمر أمام التجارة وإغراق الأسواق بالحبوب بأسعار منافسة لأسعار الحبوب المحلية مما أساء للتجار العرب كذلك للبقول حتى الزيت صار لها منافس في أسواق فلسطين الهدف هو إفقار الناس، هذا ما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القروين مع حملات التحريضية المضادة للحكومة يتابع هذا الحاكم في رسالته يقول" فالأعمال في عكا وشفا عمر متوقفة في حيفا تكاد تكمن جميع أنواع العمل التي تعد بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سرية أخذت تقتل الترانزيت فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، قد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية أصحاب العمل اليهود يتعاملون إلا للمهاجرين من اليهود الجدد من العمال، إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم.

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم بواسطة أية أعمال أخرى إن بعضهم يواجه الإفلاس، ليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير فهو مثقل بالدين ليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه أنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول، يرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنه من الهجرة اليهودية.

أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين، فشردتهم واستولت على أملاكهم من عقارات أثاث أراضي بمراسيم سلطة غاشمة استغلت مناصرة الاستعمار أمريكا في

الأوساط الدولية، من عمليات طرد عرب فلسطين من قراهم في 1951/2/1 طرد إلى خارج فلسطين سكان 12 قرية فلسطينية تقع في وادي عارة في منطقة المثلث، طرد سكان أم الفحم ثم نسفت بيوتهم.

اتبع الصهاينة سياسة الطرد الانتقائي الذي يقوم على اختيار لبضع عشرات من الرجال النشيطين من كل قرية و طردهم خارج الحدود لتلحق بهم عائلاتهم وقد طردت كذلك قبائل بأكملها مثل البقارة التي أجبرت على مغادرة بلدتها بالقوة العسكرية إلى الحدود السورية وانتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام: 1929 و 1936 و 1948، وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعض ويخربون ويسرقون ما طاب لهم وذلك بغياب أصحاب البيوت من أهلها الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة ويحظروا التجوال في القرية.

كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة، أما الرجال فيجمعون في مركز آخر ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار يهدمون بيته بالمتفجرات وكم هدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين ومنهم قرية الفريديس، ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود ومنحهم كل عوامل القوة مثل: منحهم الأراضي الفلسطينية الخصبة من أملاك الدولة العثمانية، وتنفيذ أوامر المحاكم التي أوصت بإخلاء الفلاحين من أراضي اشتراها الصهاينة عن طريق وكلاء من مغتربين ليسوا من فلسطين كانوا استلموها من الدولة العثمانية مثل سهل مرج ابن عامر ووادي الحوارث ومنطقة الحولة.

1- إغراق الأسواق الفلسطينية بالمنتوجات الزراعية من حبوب وبقول وعرضها لتضارب الإنتاج الزراعي الفلسطيني وتقضي على حياة الفلاحين.

2- وضع الضرائب على البيوت والبضائع والأراضي وتحذر من ترك الأرض بدون استغلال وإلا تسحب الأرض من صاحبها إذا تركها أكثر من سنتين بدون زراعة.

3- السماح للمهاجرين اليهود بالدخول وتشجيع الاستيطان وتنسق مع المنظمات الصهيونية لتنفذ وعد بلفور الاستعماري رغم وعودها للعرب بالحد من الهجرة عبر الكتاب الأبيض الأول والثاني.

4- عدم التزامها بقرار التقسيم ومحاولة ردع رجال الهاجاناة من احتلال المدن وبعض القرى وجيش بريطانيا لايزال على أرض فلسطين أي قبل إعلان انسحابه المقرر في 1948/5/15 مثل حيفا ويافا وصفد والعديد من القرى قضاء يافا.

5- تأسيس بريطانيا جيشاً لإسرائيل القادمة بإشراك الهاجاناة من جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وكان نواة الجيش الإسرائيلي، بينما كانت المشانق في عكا تعقد كل ثلاثاء من كل أسبوع لتقدم شهيداً على الأقل أسبوعاً ولم نشاهد خلال هذه فترة الاعدامات أي مشنوق يهودي علماً أن كثيراً منهم كانوا معتقلين في سجن عكا بعد أن ثاروا ضد الاحتلال البريطاني وتعليق الجنود البريطانيين على فروع الزيتون وإعدامهم بالجملة وكان المسؤول عن هذه الجرائم الإرهابي مناحيم بيغن الذي حكمت عليه بريطانيا بعد أن فجر فندق الملك داوود عشرون عاما وبعد ذلك أصبح رئيساً لوزراء "إسرائيل". وقد زرت بريطانيا عام 1977 ولمست الاستنكار وكانت حجة الحكومة البريطانية بأن الحكم سقط عنه لتقادم التنفيذ لامتعاض بين أساتذة جامعة درم وفي هذا السياق أعرض للقارئ الكريم قصة تعبر عن ردود فعل البشر في محاربة القهر والظلم.

كنت من سكان عكا وفي عام1947م وفي شهر آب سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة، وما هي إلا لحظات وقد رأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة وأمامها شخصان بلباس جنود انكليز ويصرخون على الناس بالشوارع بالتزام المحلات ولما خرجوا من البوابة لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت) وعليها رشاش مركب على حامل ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم وقد اصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكز) فقتلوه فوراً ولما رأى رفيقه ما حصل وكان يسوق السيارة ولحق بهم وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم وقالوا لي أنهم راحوا عن طريق صفد وأخذت طريق مختصر أعرفه ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة ووجدت الجندي قد سبق سيارة الارهابين ووقف وراء الرشاش وما أن اقتربت سيارة الارهابين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع وتهرب فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة وقتل سائقها وانقلبت السيارة وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف فاخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم نار حامية وكان الأولاد أمامي عندما يرى أحدهم بين الزرع فتصرخ للجندي بقولنا مستر مستر هذا واحد فيلقى مصرعه.

وبعد أن تم الجندي مهمته دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره ولسان حاله يقول:" لقد انتقمت لك يا عزيزي" ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاءه واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

كان الهدف كان عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا إذ كانت الخطة ان تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود ثم تبعهم السجناء العرب.

6- التعاون البريطاني مع المنظمات الصهيونية العسكرية مما رأيته:

- أن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين أخبر الضباط الانكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة ولما وصل الحنيطي إلى عكا حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا وواصل طريقه وبعد مغادرته عكا سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات واستشهد هو وزملائه وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة موتسكن، وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا، وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.
- توجه أربعة من مهندسين الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما فعطلت سيارة الحراسة الأولى وتابعت سيارة المهندسين طريقها وتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل فقتل السائق وانقلبت السيارة وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه، قد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً أمشوا فوق جثثهم، وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دمر الرأس تماماً وبين رعشات رجلي وهي تدوس وكأنني أدوس على فرشة إسفنج ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً.

7- تسليم الإدارة العسكرية البريطانية جميع معسكراتها وما فيها إلى العصابات الصهيونية وكانت هذه المعسكرات عوناً كبيراً للسلطات الصهيونية ساعدتهم في مواصلة الحرب ضد العرب.

8- لقد أعانت حكومة الانتداب المهاجرين الصهاينة لإنشاء دولة ضمن دولة لإعلان الدولة الإسرائيلية التي يحتفل الإسرائيليون بقيامها في 28 نيسان من كل عام بينما لم تسمح للعرب بأي جمعية أو منظمة أو إدارة يمكن اعتمادها لإدارة البلاد بعد رحيل الانتداب عن فلسطين.

هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال من وعد بلفور مرورا بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم وأركز على البعض منها:

إن فلسطين هي أرضهم وأن اليهود وعدوا بها بينما الآثار تثبت عكس ذلك وأن شعب اسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس اليوناني في القرن السابع ق.م والقرن الأول ميلادي، حيث القائد الروماني طيطس دمر الهيكل ولم يعرف مكانه أن الدين اليهودي يشكل قومية وهذا مخالف لكل مقومات القومية فالديانة اليهودية معتقد وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الاسكندنافي واليهودي الخزري مع اليهودي الافريقي وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة لا تجمعهم لغة أو دم وهم بحاجة إلى تراجم لتتم عملية التواصل فيما بينهم.

- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية وإن الواقع غير ذلك.
- إن جامعة الدول العربية تأسست عام 1945 أي بعد الحرب العالمية الثانية والدول السبع كانت تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي ولم يمض على استقلالها أكثر من ثلاثة أعوام. وكانت كلها مرتبطة بالإنكليز والفرنسيين فالأردن كانت مرتبطة بالإنكليز وجيشها يحكمه ويسيره جنرال جلوب باشا وهو القائد الفعلي للجيوش العربية العتيدة والذي عزله الملك حسين بن طلال وتخلص منه.
- والعراق كان مكبلاً بمعاهدة مع بريطانيا وهي معاهدة 1936م وأغلب ضباط الجيش من الإنكليز.
- ومصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، والجيش البريطاني جاثم على قناة السويس وسورية كان لها جيش مستقل تنقصه المعدات والجنود المدربة إذ قام الضباط الفلسطينيون عام 1949 – 1950 وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
- والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال وتحت حكم الإمامة الذي كان يبيع إمامهم طوابع البريد في ديوانه.
- والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية وليس عنده القدرة لتحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول وبشكل خاص الشركات الأمريكية وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على

الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد لا أن تساعد الصهيونية ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.

- هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة، إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية اجزم وعين غزال وجبع. واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.
- كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.
- قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية.
- تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة واستغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل حربية جديدة ومنها الطيران فيما لم يوجد طائرة واحدة تدخل أرض فلسطين.
- إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

هذا قليل من كثيرو تقصير الجامعة العربية العتيدة والتي بدأت بسبع دول والآن باتت تضم (21) دولة قطرية تتنافس مع بعضها والضعف ينهش أهلها وسفاءها: كلاب للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود.

المراجع

(1) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير مروان الماضي

(2) بلادنا فلسطين ج1 مصطفى الدباغ

(3) الموسوعة الحرة ويكبيديا

الفصل العاشر

أدب المقاومة السلمية

لعبت المقاومة الفكرية الفلسطينية دورا رائدا في مقاومة الطامعين بأرض العرب وبشكل خاص فلسطين وكانت الثقافة الفلسطينية الفكرية هي المتقدمة منذ انتهاء الحكم العثماني وتنبه أبناء فلسطين قبل غيرهم بالخطر واستعدوا له بالعلم والمعرفة وانخرط نشاطهم في وحدة العرب وكان المتنورون منهم يسعون إلى وحدة العرب فقوتهم بوحدتهم ولم يفكروا مطلقاً بالقطرية فقد جمعتهم الجامعة العربية بميثاق هد جمعهم ونشأت الجامعة يسبعه دول وصارت الآن 21 دولة فضاعت الأمة وتفسخت أوصالها بقادة قاتلوا الوحدة واجتثوا جذورها ونحن نرى أن جاء الدور على الاسلام يجردونه من الرحمة والسلام والإخاء يزورون ويشوهون المفاهيم والحقائق ينهبون أموال العرب بأيدي سفهائهم يحرمونها على شعوبهم ويحللونها لعدوهم الذي ضبعهم بخلق عدو جديد يهرولون في نجدتهم وهم أصل الفتن والبلاء.

إنني يا أخوتي عندما أكتب عن القرى التي باتت مدنا وبلدات في فلسطين رأيت ولمست أبناء هذا الشعب كم هو جبار حقاً إذ ليس هناك قوة في العالم تستطيع إذلالة وإني أقدم للقارئ كيف يسعى هذا الشعب في حبه لوطنه أن يعمل المعجزات وقد فعل ومنها قوته الفكرية التي تجاوزت ثقافة أبناء العرب أجمعين وتتجلى بما يلي المجموعة بالصراع السياسي–الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.[1]

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمنهم فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام وجريح بيروت وعنترة العبسي وصلاح الدين الأيوبي ومملكة

[1]: الموسوعة الفلسطينية خاص مج5 ص 25

أورشليم وطارق بن زياد وفتح الأندلس وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924–1928م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تندد بالاستعمار الاسباني في المغرب وذلك بين عامي 1927–1928.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها فأقبلوا على التمثيل ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس، وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1–4–1936 وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي).

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام 1918 ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914 ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929.

وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م وله مجموعتان "ذكاء القاضي" "والعدل أساس الملك" أو" لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و" فلسطين لن ننساك" وفي عام 1934م أمام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف لمسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار–غرام الميت–قبلة المحبة – صراع بين العلم والإيمان....إلخ".

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية.

"وطن الشهيد" عام 1947 "شيخ الأندلس" 1949 "حرب القادسية" 1951م "الفداء" 1968، وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897 مسرحية "مصرع كليب" 1947 " أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966 وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة وهي "نساء وأسرار" و" صبر وفرج"،" قيصر روسيا ومصرعه"، " أصل شجرة الميلاد".

وكتب غسان كنفاني من المسرحيات الباب، والبني، وجسر إلى الأبد وصدرت جميعها سنة 1978 بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف، وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية نوعين من الرقابة فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية) خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت

من العرض مسرحية " أنا راجع يما" لمسرح آذار ومسرحية "رجال في الشمس" (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية(الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه.

وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967 وقد قدمت كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس–بنادق السيدة كرام–الملك هو الملك–والحضيض–الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6 و 7 و 8/ 9/1982 وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل.

وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي" وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي فنشأت في عام 1982 المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولايزال على مرأى وسمع العالم كله. (1)

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) ل ناظم حكمت وتجدر الإشارة الى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان

التي تناسب المضمون المسرحي وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين وقد لفت النظر الى نشاط فرقة الفنون الشعبية(بلالين)ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973 إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت الى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة.

وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، وفي 1975/4/28 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (وبلا–لين) ودبابيس وكشكول وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/1973 واتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميله وفوزي السكري وواصف ضاهر وايليا الشوملي ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم والمسرحيات التي ل(بلالين)هي قطعة (حياة والعتمة) ونشرة أحوال الجو والكنز تع تخرفك يا صاحبي، ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة مثل (قطعة حياة) و(العتمة)
2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها ثم صيانتها من طمع الغرباء واغزاه (الكنز).
5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).
6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948 إذ قررت إنشاء جريدة المسرح أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدرس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها، ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم بستان (بلالين) وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973 إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

وفي 28-4-1975 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي (بلالين) و(بيالين) و(دبابيس) و(كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول عام 1973 واتيح لتجربة (بلالين) أقوال نقدية تؤرخ مسيرتها مثل عطية أبو رويلة وفوزي البكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.(2)

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع) فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية لكع بن لكع راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها. فكل فصل قائم بذاته وكل مشهد وحدة مستقلة ويصدر حبيبي مسرحية بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع " واللكع هو اللئيم والعبد

والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب، والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً) فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول أفديكم/ فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم.

موسوعة الفلسطينية مجلد 4 خاص ص 233 محمود شريح ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الافرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه.

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو مجنونة بدر وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الانسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه، أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الانسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي وسعادية هو اليهودي وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب يصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها، ولغة المسرحية نستفيد من التراث الشعبي ولاسيما قصة الزير سالم أبي ليلى المهلهل الكبير" فتظهر اقتباسات حبيبي منها ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم. (3)

قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850) وأنجبت له ثلاثة أبناء "عيسى، إبراهيم،

بدر)، وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية، فنزلا إلى المدينة للعلاج فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية فأسسا شركة " كوندور فيلم" عام 1927 في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر.

كان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة لأفلام والفنانين السينمائيين) في مطلع القرن العشرين وتحديداً في العقد الثالث ظهر الأخوان بدر وابراهيم الاما اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

- بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما) ولد بتشيلي في 1907/4/23 وهو ممثل سينمائي فلسطيني هاجر في بداية حياته الى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه ابراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب مرض بدر توجهوا إلى الإسكندرية للاستشفاء وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً وعملا معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى كوندر فيلم، وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947 أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه. وبعد وفاة بدر: اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، كما الممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949 والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951 والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة) والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير).

  وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات أستوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام وتوالت النكبات على العائلة ودب الخلاف بين ابراهيم وزوجته انتهى بموت ابراهيم في ليلة 12 مايو 1953، وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر.

فلم تقم الا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله ابراهيم لاما وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش) (القاهرون) إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية:

- 1927 قبلة الصحراء
- 1928 فاجعة فوق الهرم
- 1931 معجزة الحب
- 1934 شبح الماضي
- 1939 الكنز المفقود (قيس وليلى)
- 1940 رجل دين بين امرأتين
- 1941 صلاح الدين الأيوبي
- 1942 ابن الصحراء
- 1935 معروف البدوي
- 1936 الهارب.
- 1937 عز الطلب
- 1938 نفوس حائرة
- 1944 عريس الهنا
- 1945 البيه المزيف
- 1947 البدوية الحسناء

إبراهيم لاما سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفرحية في بيت لحم ولد فيها في منتصف الصحراء) إذ عرض في سينما " الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخوان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية وبعها قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام 1928 بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948 والقافلة تسير عام 1951.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة وعمل مع كبار النجوم مثل" فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الإستوديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة.

دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت ابراهيم (انتحاراً) في ليلة 1953 بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية خاص ج2 ص 233 محمود شريح

(2) الموسوعة الفلسطينية خاص ج5 ص 25

(3) الموسوعة الفلسطينية خاص ج5 ص 164

الفصل الحادي عشر

انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين وشعبها العربي من نشاطات لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد.

لكن الوضع بعد الانتداب ما فعلته الدولة المحتلة بشعب فلسطين الذي بقي فيها والذي يقال عنهم عرب 1948 وكان عددهم 120ألف نسمة مارست معهم ما يلي:

سمتهم السلط المحتلة بسكان 1948 واعطتهم الجنسية الإسرائيلية ونفت عنهم الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً زمن الانتداب وكان هذا القرار إجحافا فرضوه عليهم وجعل حياتهم في جحيم، وقد رأت السلطة بأن الرأي العام العالمي بات يميل شيئا نحو العرب وأزاح عنهم الأحكام العسكرية ومنحهم حرية الحركة والعمالة المقننة والتعامل بالتجارة والصناعة وأعطت لبعض القرى تأسيس بلدياتها وتأمين الميزانية المتواضعة في إحداث المرفق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف. وكان هذا العطاء لا يبيح بالبناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات وكانت الرخصة تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال وفي بعض الحالات يأتي الرد بالرفض .

لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بكل عواملها نذكر بعضها وما أكثر:

- العمالة في الوظائف والعمال هناك تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة ولو تساوت المؤهلات وكذلك بالعمالة ولو تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- هناك تمييز بين الرواتب فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي في المهنة والمؤهلات.
- التعليم تعامل السلطات ا لتعليم في أراضي عام 1948 معاملة من الدرجة الثانية بالبناء بالمرافق فيها ثم الميزانية المقدرة لكل منهما في المدارس العربي ومدارس المستوطنات.
- تعاني البلدات العربية من نقص في الأراضي المخصصة للبناء لأن السلطات صادرت أكثر أراضي القرية وأعطت القسم الأكبر للمستوطنات.

- وضع النائب الفلسطيني بالكنيسيت: مع أن النائب العربي الممثل لأبناء شعبه بالقانون يحق له الدفاع عن طلبات من يمثلهم وقد أصبح عدد النواب من عرب فلسطين يمثلون كتلة موحدة لها كلمتها في لبرلمان الإسرائيلي رغم القرارات التي اتهم أعضاء المجلس الطابور الخامس وآخرون بالقنبلة الموقوتة وتم طرد بعضا منهم.

وبعد احتلال "إسرائيل" الضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين الضفة والقطاع مع إخوانهم العرب في "إسرائيل" طمعاً بتأثير هؤلاء على (سكان عام 1948) على أخوتهم في الضفة والقطاع للتحول نحو "إسرائيل" ولم يمضِ سوى شهور قليلة وقد تبين لهم أن أملهم ضاع هدراً وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له، وأن باتت العواطف العربية تتلاقى ولم يتغير عند أخوتنا أي شعور بحب فلسطين من أرض ونبات وحيوان وسكن وسكان وقد خاب ظنهم وسرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات والتبادل بالسلع والمعدات وطبقت "إسرائيل" سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع.

ولما واجهت المقاومة الاحتلال بكل مقوماته السياسية عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات بالضغط على هؤلاء بالنفي والسجن والاغتيال كاغتيال رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة) وهو إرهاب الدولة واشتدت المقاومة وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى مما أربكت السلطات العسكرية وكان ردها من القساوة كسر عظام المتظاهرين وموت الكثير برصاص العسكر أو إصابات بالغة بالرصاص المطاطي زد على ذلك بالسجون التي حوت الآلاف من المعتقلين حيت قيل (أنه لم يخل بيت في الضفة والقطاع ولم يدخل أحد أفراده السجن).

ومن نشاطات المقاومة بعض منها وما أكثرها وفي يوم الأرض في 30 آذار الموافق عام 1976 إذ شارك أبناء فلسطين في إضراب عام تضافرت فيه كل الفعاليات واطلق عليه يوم المساواة (السلام) وقد نظمته المناطق المحتلة عام 1948 ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب "إسرائيل" وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيون بعدم استفزاز سلطات الاحتلال إلا أنه مع ذلك برزت شعارات معادية لإسرائيل والمؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبراً شائعاً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، فأضرب العرب في "إسرائيل" إضراباً شاملاً وأطلقوا على إضرابهم هذا (يوم السكن) وقد ازادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام 1948.

- وفي حزيران عام 1067 احتلت "إسرائيل" بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمانهم العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقة الانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9 آذار/ مارس 1987 إذ قام أهل المخيم وأهل القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة، أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز حيث أطلق الجنود النار في جباليا فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون بينهم أطفال، وفرض منع التجول على المخيم ومن أحيائها تطاير الشرر وعمت الانتفاضة كل القطاع، ثم امتدت إلى الضفة الغربية وإزاء المشهد اليومي هبت فلسطين المحتلة كلها تأييداً وتعاوناً وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة قام إضراب عام لم تشهد البلاد له مثيلا منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة.

ابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد وقرع أجراس الكنائس وهذا التقليد نضالي معروف عن الآباء والأجداد ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس بالرنين انطلقت الجماهير في هذا اليوم التاريخي في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد في سبيل أحياء فلسطين كما خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وصولاً إلى صحراء النقب، وقد شارك أهلنا في الجولان بهذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس بالشرطة الإسرائيلية واستمراراً للانتفاضة وفي ذكرى معركة الكرامة في 21 آذار/مارس إذ رفعت أعلام فلسطين وأقيمت المتاريس في ظل إضراب شامل مثلما جرى في أم الفحم وقلقيلية وتحديهما للحصار العسكري والتمويني الذي فرض عليهما منذ تسعة أيام وقد تمكنت المجموعات المقاومة بوضع المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية، وقد قابلت السلطات الإسرائيلية كعادتها بالعنف والاعتداءات من ملاحقة واعتقالات.

وكانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من الضحايا (1162 شهيد بينهم حوالي 241 طفلاً ونحو 90 ألف جريح ومصاب و 15 ألف معتقلاً وتدمير 1228 منزلاً واقتلاع 140 ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية، كما تم اعتقال 60 ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة وعرب الداخل بالإضافة

إلى الأسرى العرب ولاستيعاب هذا العدد الهائل أفتتحت "اسرائيل" سجون مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب والذي أفتتح عام 1988.

وقد قتل من الإسرائيليين 160 فلسطينياً بينهم خمسة أطفال، حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، إذ تم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر الاعتراف الإسرائيلي الأميركي بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين.

أدركت "إسرائيل" أن للاحتلال تأثير سلبي على المجتمع الفلسطيني كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي بالرغم الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحق شامير عن بحث أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين.

أدت هزيمة صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتياح في داخل المجتمع الإسرائيلي مما يعني نهاية تهديد محتمل من "الجبهة الشرقية" واستبعاد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل، مما أدى إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد فاكتسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي يمكنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر خطراً على العرب عندما قام الابن جورج بوش استخدام نتائج الحرب على نقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية والدول قرار الجامعة العربية، فجاء مؤتمر مدريد الذي شكل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين وإسرائيل التشاور مع الفلسطينيين حكم ذاتي.

تم إجراء بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين في التي أدت إلى التوصل لاتفاق أوسلو الذي أدى لانسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدأً بغزة أريحا عام 1994، وتواصل مع باقي المدن الخليل وقلب مدينة القدس، مما يتنافى مع الاتفاق.

كان أن قد سبق التوقيع تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين تعترف فيه منظمة التحرير بحق المنظمة إلغاء الإرهاب وبحق إسرائيل بالوجود، المقصود به مقاومة الاحتلال من وجهة النظر الإسرائيلية، في المقابل تلتزم إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل الشعب الفلسطيني.

تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة.

في سبتمبر من عام 1995 تم توقيع اتفاق جديد سمي بأوسلو 2 وتضمن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل أي وهو هيئة حكم المجلس الوطني 20 كانون سنة 1965 تم إجراء أول

انتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية إلى السلطة الفلسطينية في آب/ أغسطس من عام 2004 وتم نقل الصلاحيات والمسؤولية إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمسة مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة والسياحة.

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام 1999 ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لانتهاء الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بحسب اتفاقية أوسلو والشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بعد مؤتمر قمة كامب ديفيد والتي توضح أن محاولة "اسرائيل" بدعم من الولايات المتحدة فرض حل على الفلسطينيين بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية بقراراتها (194، 338، 242) تلك إلى جانب عدم تطبيق "إسرائيل" إلى عدد من الجوانب التي اتفق عليها في أوسلو أو الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة.

واستمرار الصهاينة في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية ورفض الإفراج عن الأسرى بالإضافة الى استمرار بناء المستوطنات واستبعاد عودة اللاجئين واستبعاد الانسحاب لحدود عام 1967 جعل الفلسطينيين بفشل واستحالة الاتفاق مع الصهاينة والمحادثات مضيعة للوقت وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي قام رئيس وزراء "إسرائيل" الأسبق آريل شارون باقتحام المسجد الأقصى وتجول في ساحاته وقال أن الحرم القدسي سيبقى منطقة اسرائيلية مما أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين فاندلعت المواجهات بين المصلين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى فسقط سبعة شهداء وجرح 250 وأصيب 13 جندي إسرائيلي وكانت هذه بداية، انتفاضة الأقصى.[2]

بدأت الانتفاضة في 28-9-2000 وتوقفت فعلياً في 8-2-2005 بعد اتفاق الهدنة التي عقدت في شرم الشيخ والذي جمع الرئيس الفلسطيني الجديد المنتخب حديثاً ورئيس وزراء اسرائيل آريل شارون.

[2]: الموسوعة الفلسطينية خاص مج5 ص 25

وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقاتها بالعنف المسلح وتصاعد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي راح ضحيتها 4412 شهيداً فلسطينياً وجرح 48322 جريح وأما خسائر الجيش الإسرائيلي 334 قتيلاً ومن المستوطنين 735 قتيل ليصبح مجموع القتلى الصهاينة 1069 قتيل و4500 جريح وعطب 50 دبابة من نوع ميركافا وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات.

تعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها باجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية، تدمير مؤسسات السلطة، تدمير ممتلكات المواطنين واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.
- بناء الجدار العازل وآثاره المدمرة على الشعب الفلسطيني المعذب تحت رعاية الأمم المتحدة المنافقة وتبريكات بعض حكام العرب المنبطحين خوازيق الزعامة الصهيونية.
- تطوير المقاومة للصواريخ كماً ونوعاً وفشل إسرائيل في قضائها على المقاومة بتأليب بعض الحكام من العرب ضد المقاومة وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل في تصفية القضية وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وابادتهم وتذويبهم في المجتمعات الأخرى لكن مكرهم سيرتد عليهم والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

1) انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادي.
2) ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.
3) اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
4) إلحاق عدد من القتلى الإسرائيليين بسبب اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.
5) مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.

6) تحطيم مقولة الجيش الذي لا يقهر في معركة مخيم جنين الذي قتل فيه جندي إسرائيلي وجرح 1422.

7) ضرب اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج خرجت فيها مظاهرات تأييدا للانتفاضة وهو ما أحرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها مؤتمراتها المنافقة لتخدير الناس ولا زالت.

الانتفاضة الثالثة انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

حاولت وتحاول "إسرائيل" توظيف الصراعات العربية بعضهم ببعض فجمدت مفاوضات السلام التي نبذتها ورأت أن الوضع يخدم طموحاتها وأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى المراد إقامة المستوطنات عليها ونشط الاستيطان رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة ربيبة الاستعمار هذه الأيام وطاب لحزب الليكود ورئيسه مع الإرهابي الصهيوني نتينياهو وليبرمان العنصري رؤية خذلان القادة العرب وتآمرهم معهم على المكشوف مع عدو العرب وتعاون مخابراتهم مع من يكرهون شعوبهم.

إذ أخذ البعض منهم يمارس الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتهم بالإرهابيين فزادت سلطة الاحتلال من جبروتها وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين بزيادة نهب الأراضي ونسف البيوت ومهاجمة وتعذيب السكان بالجملة حتى سكان 1948 لم يسلموا من التنكيل باعتبارهم عرب وأطلقت العنان لعصاباتها من المتشددين العبث بأملاك وأرواح عرب فلسطين بغية تطفيشهم من حرق بيوت مع ساكنيها وحرق شجر الزيتون وقطع اشجار الفواكه وتجريف التربة والاعتقال المبرمج للنشيطين آخرها يوم الجمعة في 14 تموز/ يوليو 2017 إغلاق المسجد الأقصى المبارك الذي يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين وتصريحاتهم العدوانية والاستفزازية لأهل فلسطين وتصميمهم في تهويد كل فلسطين والأمم المتحدة خانعة لا تقوى على نصرة المظلوم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية والأغرب من ذلك من رؤساء الغرب أنهم يطلقون التصريحات في انتقاد "إسرائيل" على ما تقوم به ويتجاهلون ممارسة الرد عليها عملياً.

وقد قام شعب فلسطين بالداخل والخارج متحديا سلطات الاحتلال والتزم المقدسيون واحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم وأجسادهم وأيديهم الفارغة في مقاومة أسلحة الجنود الفتاكة طالبين الشهادة ويبرهنوا للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أغلى من الروح والجسد وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بزيادة العنف بإصابات من قنابل الدخان والرصاص المطاطي والاعتقالات ومضاعفة الجرحى وشعب القدس صامد ووراءه أهله في فلسطين، لم يعرف الغرب بعد بأن الصهيونية باتت عبئا عليهم وقد يأتيهم دور ما حل بالزعامات العربية من ذل واحتقار حتى قام بعض الساسة في الولايات المتحدة يشعرون بسطوة منظمة (آيباك) الأميركية الصهيونية على الحكم ودورها باحتلال الكونغرس, والبنتاغون ثم البيت الأبيض هذه الأيام.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا بأن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان ويبقى التغيير في النظم حاصلاً والعدل والمساواة ونبذ الظلم وتحقيق العدل هو سمة البشر ضد الأشرار.

المراجع:

(1) الوسوعة الفلسطينية خاص ج6 ص 1006 شفيق الحوت وبيان نويهض

(2) الوسوعة الفلسطينية خاص ج6 ص 1008 شفيق الحوت وبيان نويهض

المصادر والمراجع

- بلاطة، كمال. **الموسوعة الفلسطينية المجلد 4**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الخالدي، رجا. **الموسوعة الفلسطينية خاص المجلد 1**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الدباغ، مصطفى. "**بلادنا فلسطين– القسم الأول– الجزء الأول**"، بيروت: دار الطليعة، 1965.
- الدباغ، مصطفى. "**بلادنا فلسطين– القسم الثاني– في الديار النابلسية 2**"، بيروت: دار الطليعة، 1965.
- سحاب، فيكتور. **الموسوعة الفلسطينية خاص المجلد 4**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد السلام، عادل. **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 1**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد القادر صالح، حسن. **الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد القادر، حسن. **الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الماضي، مروان. **أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير**، عمان: دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- الماضي، مروان. **الإمبريالية الصهيونية والتمييز العنصري**. دمشق: دار الفكر، 2005.
- **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 1**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 2**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 3**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 4**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- موقع فلسطين في الذاكرة http://www.palestineremembered.com
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتمييز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
أولي الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا